مكتبتنا العربية

أول رجب سنة ١٣٧٤

١٣٤٤ - ١٣٤٤

١

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

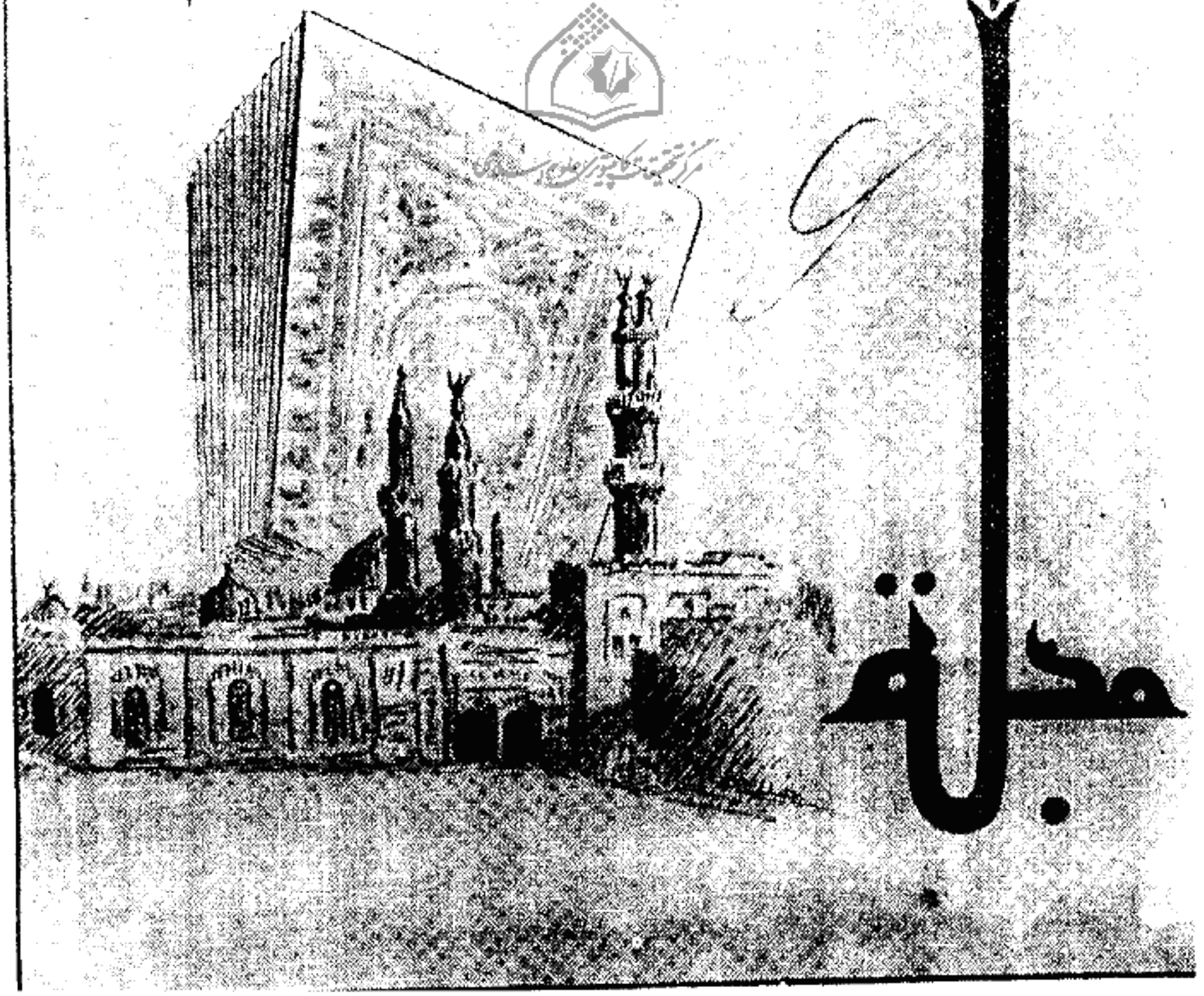

مجلة

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

٤٠٠ مليم	في وادي النيل
٤٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	لطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

القاهرة في غرة رجب ١٣٧٤ - ٢٤ فبراير ١٩٥٥ - الجزءان ١١ و١٢ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر الصحافة والسينما

في توجيه المجتمع

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يلقبون الصحافة بذات الجلالة منذ رأوا أثرها الظاهر في تكوين المجتمع وتوجيهه، فهي تغشى المنازل فتتداولها أيدي الرجال والنساء والبنين والبنات. ويقرأها الناس وهم في عربات الترام والسيارات الخاصة والعامة وفي قطارات السكة الحديدية التي تجري بين الشمال والجنوب. وتراها في أيديهم وهم في الأندية والمدارس والمقاهي والمتنزهات وفي كل مكان.

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب العالمية الأولى تطبع الواحدة منها عشرة آلاف نسخة في المتوسط، فوثبت بعد الحرب العالمية الثانية إلى عشرة أضعاف هذا العدد بل أكثر.

كنت في زيارة الأستاذ أميل زيدان بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت دار الهلال يومئذ مجاورة لدار جمعية الشبان المسيحية في شارع إبراهيم باشا، فحدثني عن الخطوة الصحفية التي يود أن يخطوها، وقال: إن إصدار صحيفة يومية في بيروت أو دمشق ميسور

مكتبتنا العربية

لمن شاء لأنه سينافس صحفا ذات رأس مال متواضع ، أما الذى يريد إصدارها فى مصر إلى جانب صحيفة الأهرام وأمثالها فإنه يحتاج إلى رأس مال ضخم وإلى استعداد أضخم . ثم رأينا صاحبي دار الهلال يزوران بلاد الغرب وينقلان منها إلى مصر هذا النوع الجديد المصور من الطباعة ويصدران مجلاتهما الواحدة بعد الأخرى ، وتخطو الصحف اليومية — الأهرام ثم زميلاتها — هذه الخطوات السريعة فى الطباعة والتصوير واستيراد أخبار العالم من مصادرها . وتقوم فى القاهرة دور أخرى للنشر تنافس مجلات دار الهلال فى الأناقة والتصوير ، وتلقى الناس ذلك على أنه تقدم فى مهنة الصحافة . والواقع أنه تقدم فى الشكل والمظهر ، لكن التنافس المادى دفع أهل هذه المهنة إلى التسابق فى كسب العدد الأكبر من القراء ومجاراتهم فى أهوائهم ، فتحولت الصحافة عن وظيفة الإرشاد والتوجيه نحو الأصلح ، إلى الاهتمام بعرض ما يوافق أهواء الجماهير من مواد قليلة العمق وإن كانت هزيلة النفع ، ومن صور لنجوم وكواكب السينما وللمصطافين والمصطافات على كورنيش الإسكندرية ، إلى غير ذلك مما يجرئ الشبان والشابات على الاستخفاف بالقيم الخلقية ، والاندفاع نحو الرغبة فى الملذات ، أضف إلى ذلك ما ينشر من القصص الغرامى الذى تمليه على الأقلام الفاجرة نفوس لا تخاف الله ولا ترعى فى الشباب حقوق الإنسانية والوطن ، فيتلقى عنها الشباب من الجنسين دروسا يستقر منها فى النفوس أن العفاف والصون خرافة من الخرافات ، وأن طلب الملذات هو أمنية الجميع المسلم بها حتى من حملة الأقلام الذين يوجهون الناس ويعلمونهم ما يحسن بهم فى طريق الحياة .

وإذا أضفنا إلى ذلك الدور الذى تمثله شاشة السينما فى الليل والنهار وتمليه على طبقات الأمة من سوء القدوة والأسوة ، تبين لنا سبب هذه الحوادث المخجلة التى تكشفها المصادفة بين الحين والحين ، فنعرف منها أى داء دوئ وأى مرض وبيل أصاب المجتمع من طريق الصحافة والسينما بين الحربين العالميتين وبعدهما .

هذه آنسة من كلية التجارة فى جامعة الإسكندرية ترسل على الناس صيحة من الأهرام تصفها الأهرام بأنها قد اختلطت فيها الحسرة والألم بالنظرة الفاحصة الواعية ، والكلمة المصلحة الصادقة ، فهى تتحسر لما ترى وتسمع كل يوم من إجرام نصف المجتمع فى حق نصفه الآخر ، بل فى حق نفسه أيضاً ، فهى تقول :

« إن سيدات كثيرات أكثر مما يمكن تصوره يخن أسرهن بهذه الطريقة المجرمة ،

مكتبتنا العربية

فترى الخيانة من زوجة ثرية تزوجت بمن تريد وأنجبت منه أطفالا ، ثم تعشق غير زوجها ، وتغيب عن بيتها ، وتبوء بجرمها ... أو زوجة مدرس تخونه مع تلميذه ... وهن يقدمن على هذه الخيانة الدنيئة بكل سهولة » .

وتتساءل الآنسة : « إلى متى تلعب أولئك الزوجات بالنار التى تحرق مجتمعنا ؟ إلى متى يستمر شبابنا فى الإضراب عن الزواج ؟ إلى متى يظل أولئك الأزواج نائمين فى هدوء ؟

« أكتب إليكم جميعاً ... أكتب إلى الأزواج ليفتحوا عيونهم ويرعوا أسرهم ، ويتجنبوا هدم مجتمعهم . لتكن حملة شديدة لعلاج هذه الحالة الوبيلة ... لينبه كل شخص الزوج النائم الذى تخونه امرأته حتى تخاف . . ليتكلم الراديو إلى الزوجات فى توجيهات وتمثيليات عن مصير الزوجات الخائنات . . وليكن فى القانون عقاب صارم لكل زوجة مجرمة . . »

« إن مجتمعنا مريض ، وسيودى به مرضه إلى الهاوية إن لم نتداركه بالعلاج ، ونمحو منه هذا الجرم الفظيع » .

أجل يا آنسة ، إن مجتمعنا مريض ، ولكن ليس المهم تدارك الموبوئين من أفراده بالعلاج وحسب ، فإن هؤلاء الموبوئين ضحية لغيرهم ، ولم يكن مجتمعنا مريضا بسببهم ، بل لأن وراءهم أقلاماً نقلت إليهم جراثيم المرض ، بما أيقظت فى النساء والشباب من غرائز ، وبما هونت عليهم من أمر العفة والصون ، ففى كل دقيقة تقع الأنظار على صور للقبلات الفاضحة ، والعورات التى أمرت الشرائع بسترها . إن كل أنواع اللحوم ارتفعت أثمانها بعد الحرب ، إلا لحوم النساء فإنها ابتذلت بعد ارتقاء الطباعة ، وبعد أن صارت صور السيقان ومفاتن النسوان مادة أصلية من مواد النشر والكسب بالعرض على الأنظار . وهذا فى الصحافة فما بالك بالسينما !

إنهم أقنعوا النساء ، وأشباه النساء من الرجال ، أن استنكارنا لهذا الفاحش الفاجر رجعية وتأخر وغباء ، فضت الجماهير فى الإقبال على هذه الصحافة المهيجة للشهوات والغرائز واندفعت وداد وأشجان وعشرات الألوف من مثيلاتهما فى السبيل التى دفعهن إليها تجار لا يخافون الله ، ولا يرعون هذا الوطن فى بنيه وبناته وفى رجاله ونسائه ، فكان ما تسمينه - يا آنسة - لعباً بالنار التى تحرق المجتمع ...

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية كتب كاتب متوثب مقالاً فى إحدى مجلات « دار الهلال » - وكان يعمل فيها قبل أن يعينه أهل المقدرة على إنشاء دار للنشر تنافس

مكتبتنا العربية

دار الهلال - كتب هذا الكاتب فى تلك المجلة من صحف دار الهلال يحرض المجتمع على استقبال عهد السلم بعد انتهاء الحرب بالتحلل من الأفكار الرجعية وأخذ الحضارة الغربية بحذافيرها ، ودفع المرأة إلى خوض لجج التحرر من قيود الرجعية ... الخ . فرد عليه الدكتور يحيى أحمد الدردير المراقب العام لجمعيات الشبان المسلمين ، ونصح له بأن يتقى الله فى هذه الأمة ، فقابله بشواظ من نار السلاطة والسخرية والاستهزاء ، مما لا يمكن أن يجاريه فيه رجل يحترم نفسه ، ثم رأينا تحقيق تلك الدعوة على صفحات صحف ملأوا بها الأسواق والبيوت والمجامع ، وتطوع فيها عدد من حملة الأقلام الذين لا يعرفون الحياة الزوجية ، فكانت نفثات أقلامهم سموما تعمل عملها فى نفوس عشرات الألوف من أمثال وداد وأشجان ، وكان أثر ذلك يفتك فى هذا المجتمع المريض فيخفى عن الناس حينا وتفضحه المصادفات حينا .

وإذا افتضح - بطريق المصادفة - شىء من هذه الجرائم بادر دعاة الفاحشة والتحلل إلى تهوين ذلك على المجتمع والتخفيف من وقعه فى النفوس الجريحة ، كما رأينا فى يوميات إحدى صحف الصباح التى يقول كاتبها : لا يجوز أن نعتبر حادثاً واحداً دليلا على انهيار جيل كامل ، فهذه الجرائم البشعة لا تصور الجيل ، وإنما تصور شخصيات منحلة فى مجتمع صحيح . بل يقول لمن يشكون من انحطاط الأخلاق كلما وقعت حادثة مثل حادثة مقتل زوجة مأمور الضرائب : إن هذا الاشمئزاز الذى تشعر به وأنت تقرأ أخبار هذه الجرائم دليل على أن المجتمع غير ملوث . ويضيف إلى ذلك أن الذى يقرأ صحف العالم بانتظام يجد أضعاف هذه الجرائم فى بلاد أخرى يقولون إنها متمدينة ، ثم يصرف أذهان الناس عن الموقف الحقيقى للصحف من هذه الجرائم ، خشية أن ينتبهوا إلى دور التحريض الذى تمثله بعناية وانتظام ، فيتكلم عن الدور الآخر للصحف وهو نشر أخبار هذه الجرائم بعد وقوعها فيسوق الأدلة على أن الصحف معذورة فى ذلك .

إن الذى نؤاخذ به الصحف ليس نشر أخبار الجرائم الجنسية بعد وقوعها ، وإنما نؤاخذها بما كانت تبثه قبل وقوع الجريمة من أفكار تهون على الناس أمر الاعراض ، ومن صور وفقرات تهيج الغرائز فى الأحداث والشباب وفى العامة الذين ليس لهم من عقولهم ودينهم وازع يعصمهم من التأثر بهذه الدعايات الخبيثة المتواصلة بحذق وبراعة وتصميم ، حتى صار أمر الاعراض هيناً على الجماهير ، وحتى صارت الغرائز فى حالة انتباه مستمر ،

مكتبتنا العربية

ومن هنا كان ما تسميه الآنسة التى كتبت فى الأهرام « لعباً بالنار سيحرق المجتمع » ، و « مرضا وبيلا سيودى بالمجتمع إلى الهاوية ، إن لم يتداركه العقلاء بالعلاج » .

ولا يكاد القراء ينتهون من مقال « اليوميات » حتى تطلع عليهم تلك الصحيفة فى اليوم التالى بمقال « من فكرة إلى فكرة » ، زاعما كاتبه بأن النشر لا ذنب له فيما يقع من هذه الجرائم ، لأن هذه الجرائم ليست فى مصر وحدها . ومنشأها فى السنوات الأخيرة انهيار الأعصاب ، والمسئول عن انهيار الأعصاب هو الحرب ، فإنها حطمت أعصاب الناس وهزت اتزانهم وزعزعت إيمانهم فدفعتهم إلى هذه الجرائم . ومن العجيب أنك ترى إلى جانب هذا المقال صورة رمزية لدرية شفيق بعنوان « العقوبة العائلة » ، ودرية شفيق ممسكة بيد نهرو من جانب وبيد محمد على الزعيم الباكستانى من الجانب الآخر وتقول لهما : « ياتبوسوا بعض ، يا أبوسكم أنتم الاثنين » .

هذه قطرة من القطرات فى سبيل تهوين أمر الحياء والعفة والدين على صغار العقول من النساء وأشباه النساء من الرجال ، ومجموع هذه القطرات بين الحربين وبعد الحربين طغى بهذا السيل الجارف من الفاحشة التى أدت إلى ما نرى من إجرام ، وإلى ما يشكو الناس من عواقبه .

كتب لهم الأستاذ السيد صبرى كلمة فى الأهرام عنوانها « اتقوا الله . . وكفى ! » وتابعه الأستاذ جمال العطيفى المحامى فى اليوم التالى بكلمة أخرى بنفس العنوان يقول فيها عن الأستاذ سيد صبرى : « لا شك أن سيادته يعبر بهذه الكلمة عما يجول بخاطر معظم المواطنين الذين لا يقل استنكارهم للحادث ودوافعه وأسبابه ، عن أسفهم للآثار التى تترتب على هذا (النشر) من الناحية الاجتماعية والخلقية » .

وقد اعترف الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى إحدى فقرات « نحو النور » بأن من المؤكد أنه لولا وقوع جريمة فندق شارع عماد الدين لاستمر الوضع الذى كان قائما على ما هو عليه . ومن يدرى لعل هناك حالات كثيرة مشابهة — وربما أسوأ وأشد فحشا — غير معروفة . فالمسألة لا ينبغى أن تؤخذ فقط للتسلية أو التعجب أو إبداء الأسف والاشمئزاز ، ولكن لا بد من أن يتدخل لبحثها رجال التربية وعلماء النفس والإجرام .

مكتبتنا العربية

فلعل الأمر يرتد فى أساسه إلى أشياء كثيرة تتعلق بالوسط والمجتمع ، ولعل بحثها يؤدى إلى إصلاح عميق ، أو دعوة إلى تعديل فى أساليب التربية وطريقة التناول والتعريف للعلاقات الجنسية بالنسبة للأولاد والبنات فى سن المراهقة .

ومن العجيب أن تذهب الأفكار فى تعليل هذه الجرائم إلى كثير من الأسباب ، وأن يبقى السبب الحقيقى الأول مسكوتاً عنه ، وهو الدور الذى يمثله القائمون على دور النشر بما ينشرونه من صور تهيج الغرائز ومقالات وفقرات وقصص تهون أمر الأعراض ، وتدفع الأحداث وصغار العقول نحو الشهوات الجنسية دفعا . يضاف إلى ذلك سوء استعمال شاشة السينما فى هذا الوطن المظلوم ، وما تقدمه لأبناء الجيل القائم والجيل الآتى من قدوة سيئة ليس عجيباً أن يكون لها فى مجتمعنا هذا الأثر المحزن الذى أقام البلاد وأقعدها .

إن شاشة السينما كان يمكن أن تقود الأمة إلى ميادين الرجولة ، وأن تنهض بالبنين والبنات إلى مستوى رفيع من ميادين العمل لإنهاض الوطن ، ولكن انهيار الصحافة إلى المستوى الذى يشكو منه الناس جعل القائمين على السينما يسابقون صاحبة الجلالة فى غزو السوق ، واستمالة الجماهير بمجاراة أهوائها ، حتى بلغنا هذه الدركة من الاستهتار والتحلل ، ونحن نحسب أننا نحسن صنعا .

قبل إعلان الدستور العثمانى فى سنة (١٣٢٦ — ١٩٠٨) كان الأستاذ محمد كرد على مقيما فى مصر يشارك فى تحرير جريدة المؤيد ، فبادر عند إعلان الدستور بالسفر إلى دمشق وأصدر فيها جريدة يومية اسمها (المقتبس) ، فكتب إليه شيخنا طاهر الجزائرى رحمه الله ينصح له بتصغير حجم الجريدة ودعوة زملائه إلى تصغير أحجام جرائدهم ليضطروا إلى الإيجاز فى لغو الكلام ، وإلى أن لا ينشروا إلا الصحيح النافع من الأخبار والأفكار ، وقال لهم : إن ذلك هو عنوان الترقى والتقدم فى الصحافة . فهل ما عليه صحافتنا الآن يعد ارتقاء أم انحطاطا ؟ هذا سؤال جدير بأن تمتحن به أنظار الناس وأفهامهم ...

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

- ٢٦ -

٢ - المتكلمون فى المهد

١ — بلى من أوفى بعهده واتقى
فإن الله يحب المتقين .
٢ — ومن يتق الله يجعل له مخرجا .

قتل أصحاب الاخدود :

١ — كانت قصة الأخدود إحدى القصص الرهيبة المروعة التى تكشف عن جمود العاطفة حينما تتغلب على المرء نزعة الاستبداد ، وتتحكم فيه الضلالة ، حتى لايكون للرحمة الإنسانية صلة بنفسه ، ولا للوازع الدينى سبيل إلى قلبه ، وهو ينسى أن وراء سلطانه سلطاناً أقوى ، وفوق جبروته جبروتاً لايحد ، فيتخذ الله من شأن هذا الإنسان مثلا يضربه ، وعبرة يزجر بها .

٢ — وأصحاب الاخدود هم أولئك الذين حفروا حفيرتهم - الأخدود - وأوقدوا فيها ناراً تستعر ، وأعدوها ليقذفوا بها من لا يمالئهم على الكفر ، ولا يرتد عن دينه الحق ، وقد بلغ من قسوة هؤلاء المتجبرين أن يجلسوا فى كبريائهم ، حول تلك الحفيرة وعلى مشهد من أولئك المستضعفين حينما يؤتى بهم ، ويطلب إليهم أن يطيعوا كبراءهم فى الكفر بربهم ، والسير فى طغيانهم ، فإذا يئسوا من مطاوعتهم طوحوا بهم فى الحفيرة - الأخدود - فهؤلاء يصلون نارها ، وأولئك يتسلون بهم فى لظاها ، ويطربون لتوقدها بأجسامهم ، وكل ذلك فى غفلة الضمير الإنسانى ، وفى نشاط الفتنة الشيطانية .

مكتبتنا العربية

٣ — وحينما جيء بامرأة مؤمنة تحمل صبيها الرضيع ، ارتاعت من هول ما رأته ، وأخذتها شفقة الأمومة على رضيعها ، ووقفت بين إيمان راسخ أخذ عليها مشاعرها ، وبين عاطفة تساورها على طفلها الذى سيطرح به معها ، أو سيعيش وحيداً بعدها . وحينئذ هيأ الله لها المخرج ، وأفسح لها من هذه الكربة ، فأنطق صبيها بما هون عليها الخطب ، وحبب إليها التضحية ، إذ قال الصبي : (اصبرى يا أمى فإنك على الحق) فكانت التضحية أهون على الأم وأحب إليها فى سبيل الاعتصام بدينها ، والوفاء لله بعهدها .

٤ — والإيمان الصادق من شأنه أن يخفف عن المرء فى دنياه ما يلقى من البلاء ، ويهون عليه ما يحدق به من نصب ووصب .

فلا عجب : أن يكون الكمال على شدته أحب إلى المعذبين فى الأخدود ، وإن توقدت فيه النار بأجسامهم ، أو كان هذا مع من يضنون به من أهليهم وأبنائهم .

وكل ذلك وأضعافه أيسر من عذاب آخر أعد للكافرين ، وهو فى الآخرة لا يخفف عنهم ولا يرجأ فيهم .

٥ — والله ـ سبحانه ـ يقص على الناس هذا النبأ ، ويوضح شأناً من شئون خلقه ، على نحو ما جرى به القضاء فيهم ، بعد أن بين لهم سبيل الرشد فلم يتخذوه سبيلا ، وبين لهم سبيل الغى فاتخذوه سبيلا .

فانظر كيف كان قصصه عن الفريقين ؟ ؟

أما أصحاب الأخدود الذين أسرفوا على الناس فى التنكيل فقد سجل الله عليهم اللعنة ، وجعلهم مثلا للآخرين : (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) ثم يذكر السبب الذى حفزهم على التكيد والإجرام مع المؤمنين فيقول : (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء شهيد ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق) وهذا وعيد فيه تشنيع وتقبيح لأصحاب الأخدود ، وفيه تزكية مطوية للمهتدين ، ثم صرح الله بتلك التزكية فى تلو هذه الآيات بقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير » .

مكتبتنا العربية

٦ — تلك هى القصة ، وهذا مجمل سببها ، وجانب العبرة منها واضح ، ففيها حكاية الكفر والطغيان ، وحكاية الطاعة والإيمان ، وفيها تحذير من العدوان والغدر ، وتوجيه إلى الرضا والصبر ، وفيها تصوير للون من ألوان الحياة الدينية فى القرون الأولى ، ليتبين للناس أن الخصومة بين الحق والباطل ، وبين جند الله وجند الشيطان ، أو بين الكارهين للدين وبين أهله ، قديمة قدم الزمن ، وسنة من سنن الله فى المجتمع .

ومن لنا ببث العبرة فى قلوب جاحدة ، وبعث الحياة الروحية فى نفوس جامدة ، بعد أن مضت سنة الله ، وقضت حكمته أن يكون لله خصوم من عباده ، وللفتنة أنصار من الغواة ؟ ؟

سيظل للحق أجناد ، وللباطل أجناد ، ومهما أرخت الفتنة حبالها ، وشكت الفضيلة من خصومها ، فإن الغلبة دائما للحق على الباطل ، ولن يخلف الله وعده فيما قال : « وإن جندنا لهم الغالبون — إن الباطل كان زهوقا » .

وبعد — فإن للقصة زماناً ، ومكاناً ، ولها أشخاص تولوها طاعة لمن أمروا بها ، ولكن هذه الأمور ليست ذات شأن فى الغرض المقصود ، وهو الإرشاد إلى ناحية الخير ، والترغيب فيه ، وإلى ناحية الشر ، والترهيب منه ، وتشخيص هذه العظة فى سياق قصصى لما وقع من أناس لأناس ، وخصومة أولئك لهؤلاء ، ونشاط المسيئين فى جانب الشيطان ، واحتمال المستضعفين ما نزل بهم فى جانب الله .

وهذه التوجيهات حاصلة بما يجتزىء القرآن فى ذكره .

أما تعيين الزمن ، أو البقعة التى جرت فيها ، أو الأشخاص الذين دبروا أحداثها . فشىء لا يتعلق به القصد ، لأنه لا تتوقف عليه الغاية .

وقد نشط العلماء قديماً فى الإلمام بهذه المعالم ، وساقوها مع القصة إتماما للفائدة ، ولكن مجال البحث لم يجمعهم حول فكرة واحدة تشعب بهم الاجتهاد فى التنقيب والتحرى ،

مكتبتنا العربية

ولهم العذر فى تعدد الرأى ، إذ لا نص أمامهم ، ولا معالم مقطوعا بها لديهم ، والقصة فى جوهرها سليمة وأكيدة ، وإن اشتبهت على العلماء لواحقها تلك .

ففريق يراها وقعت فى بلاد الحبشة ، وآخرون يفرضونها فى اليمن ، وفيما يقال : إن صبياً كان يتردد على كاهن ليعلمه الكهانة ، فاهتدى فى طريقه إلى راهب متعبد فى صومعته ، فركن إليه الصبي مرة بعد أخرى حتى تعلم دينه وعرف ربه ، وكان يدعو فيستجاب له ، وقد دعى لرجل أعمى فأبصر ، فآمن الأعمى كما آمن الصبي ، ولما طار خبر الصبي والأعمى والراهب إلى الملك نكل بهم فقتلهم جميعاً ، وكان فى التنكيل بهم مظاهر قدسية حملت جمهرة من القوم على الإيمان برب الصبي والراهب والأعمى . فلم يسع الملك إلا أن يستعين ببطانته فى شق الأخدود ، والتوسع فى تعذيب المؤمنين ، على نحو ما سلف بيانه .

وكذا مما يقال : إن ملكا استباح محارمه من النساء ، وكان ذلك أمراً منكراً فى شريعة قومه ، فلما أحس بانتقاصهم له ونفورهم منه ، أراد أن يحملهم جميعاً على القول بما يراه ، فلما عارضوه وخرجوا عليه ، استعان بمن يستبطنهم على الآخرين ، فحفروا الأخدود ، وصنعوا بالمخالفين ما صنعوا .

وأياً ما كان تقديرهم فهى احتمالات متشابهة من الناحية العامة ، وهى أنها تصوير لعقلية ملوك غاشمين ، تطاوعهم بطانات ضالة ، فيكون منهم المنكر والفساد ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

وفى مثل هذه القصة لم يكن كثيراً على الله أن ينطق فيها الصبي ، بل يجب ألا يستبعدها العقل ، وأن نفطن إلى أن غرابتها علينا هى أيسر فى اجتذابنا إلى الإيمان بالله من طريق العجب بآياته ، وفى كل آية من آياته عجب ، وإلا فكيف يكون التدليل على قدرته ؟ ؟ .

تباركت ربنا وتعاليت ! ! ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

السنة

مسامرة نبوية

— ١ —

تمهيد : خطة هذه المجلة — لسان الحق والخير .
قضية جامعة — معجزة لم تدون — دعابة نبوية .
بيت كريم — صبر عجب ، وجزاء أعجب .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً . وكان لى أخ يقال له أبو عمير . قال — أحسبه — فطيم [1] وكان إذا جاء قال : يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ ! نُغَر كان يلعب به . فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا ، فيأمر بالبساط الذى تحته فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلى بنا .

رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

(١) مفطوم عن الرضاعة ، روى مرفوعا صفة لأخ بعد وصفه بالجملة ، وجملة أحسبه معترضة بين الصفة والموصوف ، وروى منصوبا مفعولا ثانيا لأحسب ، والنغر - كصرد - طائر يشبه العصفور أحمر المنقار . وقد يسمى صعوة — واحدة الصعو — أصغر من العصفور ، ويأتى ذكرها فى الشرح . والبساط : ما يبسط ويفرش ، وكان بساطهم من جريد النخل كما فى صحيح مسلم ، والنضح بالماء : الرش به .

مكتبتنا العربية

تمهيـــد :

بدأنا السنة فى عامنا هذا ببحث فى « جزاء الصالحات » ، وكنا أكثر شىء حرصاً على أن نختمه فى هذا الجزء ، غير أن شعابا منه اعترتنا فى بلوغ الدعوة وموقف المسلمين منها ، وفى أهل الفترة وتحديد العلماء لها ، وفى تخصيص فريق منهم بالعذاب دون سائرهم ... كل هذه وما إليها من بحوث مجهدة حدت بنا إلى الترويح بهذه الدعابة النبوية الكريمة ، حتى يمهد الله لنا هذه الشعاب ويهدينا صراطاً سوياً .

وان ندع هذا التمهيد السريع دون أن نعرّف من لم يعرف أننا فيما نكتب فى « قصة أبي طالب » وغيره لا نتحامل على أحد — معاذ الله — ولا نطعن فى جهة معينة ، ولا نبغى فيما نكتب — ونشهد الله — إلا وجه الله والحق وحده[1] ثم نذكر من لم يتذكر أن خطة هذه المجلة من أول يوم إلى أن يشاء الله ، هى خطتها لن تحيد عنها قيد شعرة ، تحمل سريرة طيبة . . وقصارى مجهودها أن تعمل على نشر آداب الإسلام وإظهار حقائقه نقية من كل لبس . . . تناقش . . مقتدية فى مناقشتها بأدب قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

« وكتاب هذه المجلة وقراؤها تتجاوب قلوبهم على صفحاتها حول إقامة الحق والعمل به والدعوة إلى الخير والأنس به ؛ لأن الأزهر قبة الإسلام ، والإسلام جماع الحق والخير ، ومجلة الأزهر لسانهما الناطق بدعوتهما »[2] .

* * *

كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً .

---

(١) على أن « قصة أبى طالب » ذكرت استطراداً لمناسبة جزائه بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، لما أبلى من بلاء حسن .

(٢) راجع فاتحة أول مجلداتها عام ١٣٤٩ وآخر مجلداتها فى عامنا هذا . وأسأل الله أن يهدينا ومن يخالفنا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

مكتبتنا العربية

قضية جامعة قاطعة : تجمع الخير كله ، وتصدق الصدق كله ، وتنطق بأنه - صلى الله عليه وسلم - بلغ من المكارم غاية لم يدركها أحد قبله ، ولن يطمع فيها أحد بعده : لأنها غاية الغايات ، والذروة العليا من أرفع الدرجات ؛ وليست هذه شهادة يشهدها أنس بن مالك وحده ، خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، بل يشهدها كذلك أزواجه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن . والخدم والأزواج أعرف الناس بالمخدوم والزوج ، ولو كانت واحدة لقلنا : زوج تحب زوجها وتثني عليه ، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا المحال واقعاً وقلنا : اتفقن كلهن جُمَع على هذا الحب والثناء !! فكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى - صلوات الله وسلامه عليه - وفي عصمته الطاهرة تسع كان بينهن من المنافسة والغيرة مالا يحتمله بشر ، إلا أن يكون نبياً أيده بالمعجزات خالق القوى والقدر ؟ ! اللهم إن في هذا الاحتمال وحده لمعجزة من معجزات نبيك ولو لم تدون في الأسفار ، وإن في هذا الجمع الذي أبحته لنبيك دون أمته لشاهد صدق على أنه صفوة الأخيار . . ومالنا نستشهد بغيرك وأنت خير الشاهدين ؟ أديته فأحسنت تأديبه ، وهذبته فأكملت تهذيبه ، ثم بعثته ليتمم مكارم الأخلاق ، وقلت فيه وقولك الحق : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

* * *

ولسنا الآن في مقام التفصيل لهذه القضية الجامعة ، فذلك ما لا سبيل إليه في مقال أو مقالات : وإنما نحن بصدد فكاهة من هذه الفكاهات النبوية التي سقناها للاستجمام والاسترواح ، وربما أحب القراء أن نسوق شيئاً منها كلما عرض للقلوب ملال أو كلال ، فإنها تمل كما تمل الأبدان .

* * *

كان صلوات الله وسلامه عليه يمزح ولا يقول إلا حقا ، وكان مزاحه القدوة المثلى ، والأسوة الحسنى في الصدق والرفق واللطف ، لا يتأمل أحد أدنى تأمل فيما حفظ عنه من السمر والمفاكهات إلا وجد كلا منها منطويا على أدب وعلم وحكمة ، فضلا عن الترويح للنفس ، والإمتاع للسمع ، والبشاشة للفؤاد .

* * *

مكتبتنا العربية

كان - صلوات الله عليه - يزور أصحابه فى بيوتهم ، يكرمهم ، ويعلمهم ، ويطمئن عليهم ، ويبعث فيهم من جلال النبوة سناء ، ومن جمالها نوراً وضياء .

وكان يخص بيت خادمه أنس بمزيد من الزيارة رحمة منه وحنانا ، وقد أشار أنس إلى هذا الاختصاص فى إحدى روايات الحديث إذ قال : إن كان النبى ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَير ؟!

* * *

كان أبو عمير أخا لأنس من أمه : أم سليم ، وأبوه هو أبو طلحة : زيد بن سهل الأنصارى ، وهو الذى قال لرسول الله ﷺ لما نزلت « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » : إن أحب أموالى إلىّ بيرحاء وإنها صدقة أرجو برها وذخرها فقال ﷺ : بخ بخ يا أبا طلحة ، ذلك مال رابح ... ثم أمره أن يجعلها فى الأقربين .. وبيرحاء هذه حديقة كانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ... ولأم سليم وزوجها أبى طلحة فى الإسلام ونصرة النبى عليه الصلاة والسلام شأن عجيب ، خليق بأن يدرس فى مناهج التربية الإسلامية !!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

زار هذا البيت الكريم ذات يوم صلوات الله عليه وسلامه ، فألفى أبا عمير حزينا ، فقال لأمه : مالى أرى ابنك خاثر النفس ؟! فقالت : مات صعوته التى كان يلعب بها ؛ فسرى عنه النبى ﷺ بهذه المداعبة : يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَير ؟!

* * *

ويقضى الله الذى لا راد لقضائه أن يشتكى أبو عمير ثم يموت كما مات طائره !!

وهنا تتجمل أمه أم سليم بصبر عجب ! وكل شأن من شئونها فى الإسلام عجب !

يرجع أبو طلحة إلى بيته فيسأل : ما فعل ابنى ؟ فتجيبه صادقة حاذقة : هو أسكن مما كان .. ثم تقدم إلى زوجها عشاءه فيأكل ويشرب ، ثم تصنع له أحسن ما كانت تصنع .. حتى إذا نام وتغشاها قالت له : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت

مكتبتنا العربية

فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحتسب ابنك ! فغضب وقال تركتنى حتى تلطخت ، ثم أخبرتنى بابنى ! فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان . . فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما فى ليلتكما . . فحملت أم سليم . . فولدت غلاما فقالت : يا أنس ، لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أنس فوضعه فى حجره ، فدعا صلوات الله عليه بتمرات من تمر المدينة ، أو عجوة من عجوتها — ليحنك الصبى — فلاكها حتى ذابت ، ثم قذفها فى فى الصبى ، فجعل يتلمظها ، وجعل صلوات الله عليه يقول : انظروا إلى حب الأنصار التمر ! فمسح وجهه وسماه عبد الله .

* * *

وعاش عبد الله هذا إلى أن جاء من أولاده عشرة بررة كملة ، ما منهم إلا من درس القرآن والعلم وحمله ... إنه لجزاء الصبر والرضا فى هذه الدنيا ، ولجزاء الآخرة أوفى وأعجب .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

أليس هذا البيت - بيت خادم النبى ﷺ ، بله بيت المخدوم - عجبا من العجب ، علما وهـدى وتربية ؟ ! !

أوليس عجيباً أن ندعه دون أن نعود إليه مرة أخرى ، فنقتبس من نور النبوة مشرقا على هذه التربية الرشيدة الهادية ؟ ! بلى ، إنا عائدون إن شاء الله ، وموعدنا غرة الشهر القادم ؟

طه محمد الساكت

مكتبتنا العربية

نذير من الغـــــرب

كتبنا كثيراً فى مجلة الأزهر وغيرها فى قضية المرأة ، والدعوة إلى مساواتها بالرجل ، والنزول بها إلى ميادين الحياة تزاحمه فى أعماله وتشركه فى وظائفه ، وأبنا ما فى هذه الدعوة من أخطار على المرأة وحدها ، أو على الرجل وحده ، أو على المجتمع عامة ، وقلنا : إن هذه الدعوة مناهضة للطبيعة التى أعدت كلا منهما لرسالة خاصة ، إذا تخلى عنها للآخر أو زاحمه فيها كانت الفوضى التى لا يعلم مداها إلا الله .

كتبنا فى ذلك تبليغاً لرسالتنا الدينية والخلقية والاجتماعية ، وحرصاً على مصلحة المرأة ومصلحة المجتمع ، وبالرغم مما تكشف عنه الزمن من أحوال تظاهرنا فى دعوتنا ، وتأخذ بيدنا إلى غايتنا ، ما زال أنصار المرأة ومشايعوها فى دعوتها يجادلوننا فى الحق بعد ما تبين ، وبعد أن لمس الناس كيف أن المرأة التى خدعت بهذه الدعوة ، ونزلت إلى ميدان العمل لتزاحم الرجل ، كانت خسارتها فادحة ، واحتملت من الأعباء ما لا طاقة لها به ، وودت بجدع الأنف لو عادت إلى مكانها فى المنزل تديره وترعى شئون أولادها ، وتترك للرجل ما له قدرة عليه من السعى فى توفير القوت وتحصيل الرزق .

وإن الألم ليبلغ منا مبلغه إذ نرى المرأة العاملة غادية رائحة ، يكاد الجهد والقلق يقتلها ، ويدفعها الرجال فى زحام المراكب بالأيدى والمناكب ، وتنطق قسماتها بالأسى والألم على هذا الحظ النكد والمصير التعس ، وويح للمرأة وويح لقلبها إذ تترك أطفالها يومها أو ليلتها بين أيدى الجيران أو الخدم ، لا يرحمون طفولتهم ، ولا يؤنسون وحشتهم ، بل يروعونهم ويؤدبونهم بما لا يليق من الأدب ولا يجمل من التربية .

وإنا لنقطع عن خبرة بالسماع والمشاهدة أن أكثر من قدر لهن أن يعملن من النساء فى مختلف المهن لا يحمدن حظوظهن ، ولا يرضين عن حياتهن ، ويغبطن بل يحسدن أترابهن

مكتبتنا العربية

من قدر لهن أن يكن فى المنازل زوجات وأمهات فقط ، يقمن بواجب الزوجية والأمومة فى اطمئنان قلب ، وسكون خاطر ، ويتمتعن بجوار الأطفال ومناغاتهم وبسماتهم ، ويتركن للرجال ما وراء ذلك من شئون الأسرة يكفلونها ، وويح للسافرات من بناتنا إذ يرين طالبى الزواج من الشبان يتسابقون إلى أرابهن المخدرات فى البيوت ، اطمئناناً إليهن ، وثقة بهن وبقدرتهن على حمل رسالة الزوجية والأمومة ، وينفرون ممن تقع عيونهم عليهن سافرات مختلطات بالرجال فى الشوارع والأعمال والملاهى والمجتمعات .

إن دعوة المرأة إلى المساواة بالرجل فتنة وفدت إلينا من الغرب فيما وفد ، وقد اعتنقها بعض المصريات والمصريين ممن تخدعهم المظاهر البراقة ، ثم أخذوا يدعون إليها فى حماسة بل تعصب ، دون أن يمحصوها ويتعمقوها ويتنبهوا إلى ما فيها من مجافاة لديننا وتقاليدنا ، وأخطار على مستقبل بناتنا وأسرنا .

لقد ظنت المرأة وظن أنصارها أن المرأة الغربية سعيدة ، وأن سبب سعادتها هو سفورها ومشاركتها الرجل فى عمله ، وأن مساواتها بالرجل تجربة قد نجحت فى الغرب ، وأن من الظلم أن تحرم المرأة المصرية والشرقية عامة هذه السعادة ، وأن تقصر فى البيت أو تسجن فيه كما يقولون ذلك خداعاً ومداهنة .

وقد كان غريباً أن يقول قائل بعد هذا الزمن الطويل من سفور المرأة الغربية وبعد ما نالته من حقوق : رويدكم أيها الناس ، فإن التجربة لم تبلغ غايتها ، وإن الرواية لم تتم فصولا ، وسيبدو لكم فشل هذه التجربة ، وأن لا بد أن تعود المرأة إلى المنزل كما أعدتها الطبيعة ، لتتولى شئونه وشئون أبنائها ، وتترك للرجل شئون العمل والكدح فى سبيل العيش ، لأن ممارسة أحدهما عمل الآخر فوضى فى الاختصاص ، لاخير فيها للرجل ولا للمرأة ولا للمجتمع . وقد حققت الأيام ظننا ، وأدركت شعوب الغرب - بعد أن قطعت نهاية الشوط فى التجربة - أن التجربة قد فشلت وانجلت عن أسوأ النتائج ، وأخذ أولو الرأى فيهم يدعون المرأة إلى أن تعود إلى المنزل ، وتتفرغ لشئون الأسرة ، لأن مشاركتها فى الأعمال أساءت إليها وإلى الرجل ، وإلى الأطفال وإلى الأسرة ، وأن نظام المنزل قد انهار

مكتبتنا العربية

ولم يعد مأوى يستريح فيه الرجل، ويسكن إلى زوج تزيل بيد الحنان ما يعانيه من أعباء العمل، ويتقلب الطفل فى رياض العطف بين أبويه، بل أصبح كالفندق يقضى فيه كل من الرجل والمرأة سواد ليله ثم يغادرانه إلى العمل، وقد لا يرى أحدهما الآخر، وفقد الرجل السيادة على الأسرة، وامتحن الأطفال بسوء التربية لضعف إشراف الآباء، واضطر الرجل إلى أن يعمل بالمنزل بعض ما كانت تقوم به المرأة من أعمال. ولم يعد الإحساس بخطر نتائج هذه الدعوة مقصوراً على بعض الشعوب المحافظة فى أوربا وأمريكا، بل إن هذا الإحساس سرى فى أكثر شعوب هاتين القارتين تطرفاً، ولم تعد الدعوة إلى تدارك الخطر همساً بين الأفراد، بل أصبحت حديث الجماعات والصحف، وقد نشرت بعض المجلات الأمريكية الذائعة مقالا فى هذا الموضوع لكاتب كبير، لخصته بعض الصحف العربية فيما يلى:

« إن الرجل الأمريكى المتزوج قد فقد سلطانه وهيبته وكرامته، وهى صفات طالما تمتع بها بوصفه رباً للأسرة، وأهم الأسباب فى ذلك هو سماح الرجل للمرأة اقتحام الحياة العامة فى دنيا الأعمال، فقد قضى الرجل بهذا على أهم الفوارق التى تميز بين الدور الذى يقوم به كل من الرجل والمرأة. ولقد ظهر من نتائج الإحصاء أن ٦٢ فى المائة من الأزواج الأمريكيين يغسلون الأطباق، وأن ٤٠ فى المائة يعاونون زوجاتهم فى طهى الطعام، وعند ما تتزوج المرأة فى أمريكا اليوم تطمئن إلى شىء واحد، هو أنها سوف تحصل عن طريق هذا الزواج على رجل يقوم بمهمة الزوجة خلال نصف النهار ».

وذكرت صحيفة أخرى أن ابنة ترومان وهى مغنية مشهورة قالت: إنها تفضل أن تكون زوجة على أن تكون صاحبة أى مهنة أو وظيفة.

هذا ما نشرته مجلات أمريكا وصحفها، وهو خلاصة لنتائج تجربة مساواة الرجل بالمرأة فى الشعوب التى غامرت أو قامرت بهذه التجربة، نسوقه إلى المرأة المصرية وأنصارها، عسى أن يكون زاجراً لنا عن المضى فى التجربة، وأن يكون لنا فيه عظة.

« ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر »!

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

حياتنا بين الشرق والغرب

وقوة الاسلام التى لا يعرفها أصحابها

أتيح لنا أن نحضر ندوة علمية اجتماعية اشترك فيها نخبة من كبار المثقفين فى مصر ليلة الاحد ٢ / ١ / ١٩٥٥ بنادى الصحفيين ، وقد كان لكل من حضرات المتحدثين نصيبه من التوفيق فيما أبدى من صواب الرأى وتوجيهه .

ولكن الذى لفت الانظار ، وأثار العجب بنوع أخص ، هو موقف الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى الحفناوى المحامى بمصر ، فقد كان الحق شاخصاً فى موقفه ، والصواب يتألق فى منطقه ، وكان التاريخ الصحيح يتكشف واضحاً من ثنايا ألفاظه ، وهو بهذا التوفيق ساعة ذاك ، طيب نفوساً آلمها موقف شاذ لأحد المشتركين فى الندوة ، فقد كان سيئاً أن نسمع - على لسان رجل كان مديراً للجامعة - أن مصر عالة على الغرب فى كل شىء ، فى ماضيها وحاضرها ، وكان أغرب من ذلك أن المدير هذا يخوض بنا وراء فكرة غامضة ، وفى أسلوب مفكك ، ولا يعنيه من كلامه إلا أن يبث فينا الاستكانة إلى الغرب ، والإيمان بالغرب ، وكأنه يستخف بالسامعين فيقول ما يرضى نزعته وإن كانت منحرفة ، حتى كانت فى نفوس المستمعين ثورة مكبوتة إلى نهاية الندوة ، وكان فى نفوسهم أسف لأن تكون هذه فكرة رجل هيمن على تعليم الشباب دهراً طويلا ، ولكن الدكتور الحفناوى - أحسن الله جزاءه - دافع بالحق عن الحق ، وللحق صولة تعصف بالباطل ، كما عصفت كلمة الحفناوى بكلمة مدير الجامعة .

ورغبة فى الإفادة وتعميم النفع ، حاولت مجلة الأزهر أن تحصل على مقتبس مما ارتجله الأستاذ الكبير ، فتهيأ لها ذلك .

وإلى القراء ما اقتبسنا من حديث السيد الحفناوى .

عبد اللطيف السبكى

مكتبتنا العربية

كلمة الدكتور الحفناوى

حياة الامم كحياة الافراد ، يجب أن ترتكز على مقومات من تاريخها وعقيدتها وتراثها الذى يميزها عن غيرها ، وإلا فقدت كيانها ، وضاعت شخصيتها ، وفرض عليها أن تكون تابعة لغيرها .

على ضوء هذه الحقيقة ، أود أن أعالج موضوع هذه الندوة ، وأناقش السادة الذين سبقونى .

والموضوع المطروح على بساط البحث فى هذه الليلة ، متشعب الحلقات ، ويمكن أن يعالج من زوايا مختلفة ، وجوانب متعددة . وقد طاب لى أن أتحدث فيه من زاوية السياسة الخارجية ، ولكنى رأيت أن أقدم لذلك بملاحظات على ما سمعت من زملائى الذين سبقونى بالتحدث إليكم .

* * *

سمعت الأستاذ الدكتور أحمد زكى يشيد بالغرب إلى حد القول بأننا غربيون !! وهذه قضية خطيرة ، أريد أن أتصدى لها كمحام ، بين يديه ملف فيه مستندات ووثائق ، أريد أن أبين هل نعيش عالة على الغرب حقاً أم أن الغرب هو الذى يعيش عالة علينا ؟ .

وقد تحدث الدكتور أحمد زكى عن مدنية الإغريق ، ونسب إليهم حضارة العرب والمسلمين ، وجرد هؤلاء من كل فضل ! وكنت أرجو أن يدلنا سيادته على كتب الإغريق التى قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والتى ساعدته فى إقامة دولة عظمى ، كانت ذات نظم رائعة فى السياسة وفى الإدارة وفى غير ذلك ، وكنت أرجو أن يدلنا أيضاً على السند التاريخى لحقوق الفرد الاساسية التى قررها الإسلام ، منذ أن نزل الوحى على رسول الله .

ولكنى سأقدم لزميلى السند العكسى فأقول له : إن الناس فى عصور الإغريق والرومان كانوا يباعون بيع السلع ، وتجرى عليهم جميع التصرفات . وكان الآدميون ملحقين بالأشياء والدواب ، فلم تعرف حقوق الفرد ، ولم تظهر حقوق الإنسان .

* * *

مكتبتنا العربية

فى تاريخ العالم نقطة تحول كبرى، تعد ميلادا للإنسانية ولكل حضارة ، هذه النقطة هى (الرسالة العظمى) التى نزلت على محمد بن عبد الله . فقبل هذا التاريخ لم تقم فوق أرض الله دولة كاملة الأركان . ومن هذا التاريخ ظهرت الدولة بمعناها القانونى الذى صاغه الله تعالى إذ قال فى كتابه العزيز : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

آتونى بعالم فى القانون الدولى أو القانون الدستورى يحدد الأمة أو العلاقات الدولية تحديداً قانونياً أروع مما جاءت به الآية الكريمة ، حتى يقال إننا فقراء فى الثقافة ، ويجب أن نعيش عالة على الغرب .

* * *

قبل أن يسطع نور (الرسالة العظمى) كان العالم يعيش تحت وطأة ظلمات بعضها فوق بعض ، وكانت البابارية التى أرادت أن تشيد لنفسها ملكا على أنقاض قيصر ، قد قسمت المجتمع الإنسانى إلى طبقات : الطبقة السفلى ، وتتألف من عامة الناس الذين أهدرت آدميتهم ، وراحت تبيع وتشترى وتتصرف فى حظوظهم فى الدنيا والآخرة ، فتدخل الجنة من تشاء ، وتحرمها على من تبغض ، ووضعت فوق هذه الطبقة طبقة الإقطاعيين ملاك الأرض والنبلاء وذوى التيجان ، ثم فرضت نفسها طبقة عليا فوق كل هؤلاء ، وزعمت أنها واسطة بين الله والناس ، ولذلك اضطربت أحوال العالم ، واختلت الموازين ، وأوشك الفلك أن يتوقف عن الدوران .

ولكن رحمة الله قد وسعت عباده ، فطفق الإسلام يقاوم الشرك ، ليحرر الإنسان من ظلم الإنسان ، وجعل الناس سواسية أمام الله ، فلا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، ولا تفريق ولا تمييز بين لون ولون ، وجنس وآخر ، وعندئذ اضطربت البابارية وفزعت الكنيسة أيما فزع ، إذ خرج المسلمون الأوائل من صحراء جزيرة العرب ، يحملون رءوسهم على أيديهم ، ولا يستهدفون شيئا غير نشر كلمة التوحيد التى تقضى على الضلالة ، وتحرر الناس من الوثنية والفوضى والشرك جميعه ، وأحست الكنيسة أن تجارة صكوك الغفران لا بد أن تبور ، فدفاعا عن شهواتها ومآربها الرخيصة بيتت للإسلام والمسلمين ، وكانت دولة « لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » قد امتدت بأمر ربها من جبال البرانس إلى حدود الصين ، فاستمرت الكنيسة قروناً تستعد للنيل من دولة المسلمين ، وتستعدى عليها الأمراء وذوى

مكتبتنا العربية

التيجان ، إلى أن أوقدتها حروباً صليبية منذ نهاية القرن العاشر الميلادى ، وتحطمت الحملات الصليبية واحدة بعد أخرى ، وتفتتت قوى الشر فوق صخرة العقيدة الإسلامية .

* * *

وأخيراً فطن قس صليبى فى سنة ١٢٤٩ إلى الجغرافيا وحكمها ، فكتب وثيقة مضمونها أنه لا سبيل للقضاء على دولة المسلمين إلا إذا قامت دولة أوروبية باحتلال مصر ، وشقت فى أرضها قناة تصل بين البحرين ، وتكتلت أوربا المسيحية وراء الدولة المحتلة حتى تكون القناة ملكا مشتركا للعالم المسيحى ، فيتشتت شمل المسلمين .

وقد تلقف ملوك أوربا وفلاسفتها هذه الوثيقة واستعدوا لتنفيذها ، إلا أن الخلافة الإسلامية كانت قد هاجرت إلى القسطنطينية منذ سنة ١٥١٧ حينما فتح السلطان سليم الأول مصر ، وحصل على البيعة من آخر خليفة عباسى ، ولذلك كانت دولة الخلافة وناخت ورفضت مشروع القناة الصليبى ووقفت له بالمرصاد ، وحرمت الملاحة على الأوربيين فى البحر جاعلة إياه بحيرة إسلامية مغلقة ، فاستهدفت من جراء ذلك لنيران حروب هوجاء ، شنتها عليها أوربا المغتصبة طيلة قرون عدة ، ووضعت فى جنبها شوكة إذ ظهرت روسيا التى كانت دويلة صغيرة فى كييف جاعلة ضالتها انتزاع بيزنطة من أيدى المسلمين .

* * *

وقبل التاريخ الذى أشرت إليه كان الرجل الأبيض قد اهتدى إلى حقيقة سرمدية ، ذلك أن الله تبارك وتعالى قد خلق الأرض كبيت كبير له بوابات ومداخل ، وما هذه البوابات والمداخل إلا الممرات المائية ، وكان قد سلم المسلمين مفاتيح الكرة الأرضية ، إذ سيطروا من الأندلس على جبل طارق وهو أولى هذه البوابات . وامتلكوا البحر الأحمر بمدخليه فى السويس وباب المندب ، ثم وضعوا أيديهم على المضايق التركية ، فدانت لهم الكرة الأرضية ، وعاشت أوروبا كلها على فتات موائد المسلمين وما يفيض من خيرهم مما يباع لتجار يفدون من أوروبا إلى مصر والشام مرتين كل عام .

* * *

وفى سنة ١٤٩٨ اهتدى مغامر برتغالى يقال له فاسكودى جاما إلى طريق الهند طوافا هو رأس الرجاء الصالح ، ولم يصل بمفرده وبمحض اجتهاده بل أوصله الملاحون العرب

مكتبتنا العربية

الذين تعرف عليهم فى موزبيق ، ولما عاد إلى بلاده باركه البابا ، وراح هذا الأخير يوزع أرض الله على المغامرين من ملوك أوروبا ، فعلى يد البابا ولد استعمار الغرب للشرق ، واستطاع الرجل الأبيض أن يصل إلى آسيا ليسفك الدماء وينهب طيبات الأرض ، وقد جمعوا القراصنة وحطموا الأسطول الإسلامى المصرى فى مياه الهند فى سنة ١٥٠٢ ، وبعد هذا التاريخ ظهرت دول وممالك فى أوربا بدءا بالبرتغال ، فاسبانيا ، فهولندا الصغيرة التى استعمرت أندونيسيا أكثر من ثلاثمائة سنة ، وزحفت على الشرق انجلترا ، ومن بعدها فرنسا .

ولكن الاستعمار الغربى ظل قروناً طوالا طفلا فى المهد ، يعبث ويعاند ويكيد لدولة الإسلام من غير جدوى ، لأن طريق الشرق قد بقى فى أيدى المسلمين .

وجاءت نقطة تحول أخرى فى تاريخ أوربا أخرجتها من الضلالة حينما اتقدت نيران الثورة ، ظهرت الدساتير فى أوروبا ، وقامت الدولة بمعناها الصحيح ، ولكن الثورة التى انطلقت فى سنة ١٧٨٩ تدين بالفضل فيما أعلنته من (حرية وإخاء ومساواة) للإسلام والمسلمين ، فقد سبقتها ثورة فكرية على ألسنة وأقلام فلاسفة من أمثال روسو وفولتير ، فمن أين جاء هؤلاء بأفكارهم ، ومتى عرفوا حقوق الإنسان ؟

مفخرة روسو وركن الثورة الركين هو (العقد الاجتماعى) وما هذا العقد إلا فكرة (البيعة) فى الإسلام ، سرقها روسو وصاغها وأخرجها بأسلوبه ، وأما فولتير فلم يأت بجديد ، ولا أدل على ذلك من كتابه ، الأخلاق ، الذى اعترف فيه بفضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [١] .

---

(١) المجلة ـ بل إن كتاب فولتير [معجم الفلسفة] دافع فيه عن صاحب [الرسالة العظمى] صلوات الله عليه حيث قال : « إن مؤلفينا الذين كثروا كثرة الانكشارية يجدون من السهل أن يجعلوا نساءنا من حزبهم باقناعهن أن محمدا اعتبرهن حيوانات ذات ذكاء ، وأنهن فى نظر الشريعة الاسلامية بمثابة الرقيق . وبديهى أن هذا الكلام باطل ، ومع ذلك فقد كان الناس يصدقونه . نحن لا نجهل أن القرآن يميز الرجل تلك الميزة المطلقة المعطاة له من الطبيعة ، ولكن القرآن يختلف عن التوراة فى أنه لا يجعل ضعف المرأة عقابا إلهيا لها كما ورد فى سفر التكوين [٣ : ١٦] . ومن الخلط أن ينسب إلى شارع عظيم كمحمد مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء ، والحقيقة هى أن القرآن يقول : « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ويقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

مكتبتنا العربية

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد أعلنت خروجها على الدين فذلك الدين فيما تصورته هو دين الكنيسة الذى استباح نظام الطبقات ، وهو إهدار لآدمية بنى الإنسان ، ومن أجل ذلك لم يكن عجبا أن نأت ثورة فرنسا عن المثل العليا حينما انعقدت جمعيتها الوطنية لدراسة تقرير وصلها عن طريق غرفة التجارة بمرسيليا ، وهو التقرير الذى وضعه عدد من التجار الفرنسيين كانوا يقيمون بالقاهرة ، واستنهضوا حكومة الثورة لترسل جيشاً لغزو مصر كى تشق فى أرضها قناة تكون ملكا مشتركا للعالم المسيحى !

وقد استمع المناقشة فى تلك الجلسة الصاخبة الجنرال بونابرت والقس تاليران ، وخرج من الجلسة فوضع خطة جيش الشرق الذى جرد على مصر فى سنة ١٧٩٨ .

* * *

قاومت مصر ذلك الطاغية بما لم تقاومه به أوربا بأسرها ، حينما كان ينهار ملوك من فوق عروشهم ، انفردت مصر بقوة مراس وبسالة منقطعة النظير ، لسبب واحد ، وهو نفس السبب الذى أدى لفشل الحملات الصليبية قبل ذلك التاريخ بستة قرون ، ذلك السبب هو أن العقيدة الإسلامية كانت كالصخرة التى تتحطم عليها كل الغزوات ، تلك العقيدة التى دفعت المصريين للقتال والنضال قتالا إسلامياً مقدساً وجهاداً فى سبيل الله .

نجحت مقاومة مصر بفضل الزعامة السياسية الدينية التى تمثلت فى شخص السيد عمر مكرم ، وكان عمر مكرم ـ طيب الله ثراه ـ هو البقية الباقية لجماعة الوعاظ الذين قادوا الفكر فى مصر طوال القرن الثامن عشر .

ولما استطاعت مصر أن تجلى الفرنسيين فى سنة ١٨٠٢ وتفوت عليهم غرضهم الأهم ، وهو شق القناة التى من أجلها استقدم بونابرت بعثة سميت بالبعثة العلمية ، ولم تكن بعثة علمية إلا لكل ما هو لازم لعملية القناة ـ لما استطاعت مصر أن تطرد هؤلاء فطن الغرب لأمرين على جانب من الأهمية : الأمر الأول هو (العقيدة الإسلامية) التى قرر أن يزعزعها ويدمرها كى يفتح له باب الشرق على مصراعيه ، والأمر الثانى دولة (الخلافة الإسلامية) التى سماها بالرجل المريض ، ووطد عزمه على الإجهاز بالرجل المريض .

مكتبتنا العربية

وكانت فرنسا فى فجر القرن التاسع عشر أكبر دولة فى أوربا ، وهى التى تزعمت ذلك التفكير الصليبى ، ولكى تصل إلى مأربها دست على مصر محمد على ، ونجحت مساعيها الدبلوماسية فى حمل السلطان العثمانى على قبول تولية محمد على أريكة مصر ، وفرضت فرنسا على هذه البلاد وصاية مقنعة : ظاهرها نهضة حربية وعمرانية ، وباطنها فكرة خبيثة هى تجريد مصر نفسها على دولة الخلافة الإسلامية ، حتى إذا وصل الجيش المصرى إلى أبواب القسطنطينية حطموا الأسطول ، وقالوا لمصر : قفى مكانك . وفى الوقت نفسه قضى محمد على (لحساب الفرنسيين) على الزعامة السياسية الدينية ، فسجن السيد عمر مكرم ، وقرب إليه المنافقين ، وانتهت قيادة رجال الدين للسياسة المصرية والتفكير المصرى منذ أيام محمد على ، فانفسح المجال لغزو صليبى وفد على هذه البلاد (بالتدريج) .

* * *

وفى القرن التاسع عشر اهتدى الأوروبيون إلى البخار ، فظهرت الرأسمالية الصناعية ووقفت على قدميها ، وسارت معها الرأسمالية المصرفية رأسمالية المرابين ، ورأى هؤلاء أنهم أشد ما يكونون حاجة لطيبات الشرق وثرواته لتغذية المصانع ، كما أنهم بحاجة إلى أسواق الشرق الإسلامى ، ليبيعوا فيها ما يفيض عن الاستهلاك المحلى ، فشددوا النكير على الدولة العثمانية وألبوا عليها روسيا بين حين وآخر ، وفى منتصف القرن الماضى قرروا غزو العالم الإسلامى بحملات المرابين الذين يستهوون الملوك والسلاطين والأمراء والحكام وذوى الجاه لما سموه (مدنية غربية) فيحتاجون للمال ، ويعقدون القروض بفوائد ربوية جنونية ، ثم يأتى النفوذ الغربى بدعوى حماية مصالح المرابين ، ولا يلبث هذا النفوذ أن يشفع بفرق مسلحة تحتل بلاد المسلمين طولا وعرضاً .

بهذه الكيفية ضاعت مصر وضاعت غيرها من البلاد بسبب ما سموه (مدنية غربية) وحضارة الرجل الأبيض .

* * *

وقبل أن نتورط فيما يردده البعض من ضرورة الأخذ بتلك الحضارة الغربية نريد أن نقف على رأى العرب نفسه فى حضارته ، وهل هو مغتبط بحاله وراض ، أم أنه قد ذهب ضحية هذه المدنية المادية ، وأنه إلى زوال إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

قلت : إنى سأعالج الموضوع كمحام يتكلم من واقع الملفات ، وعلى أساس ما لديه من المستندات ، فاسمعوا ما يقول الغرب نفسه :

وضع السياسى الالمانى الكبير « فون بابن » الذى كان مستشارا للرايخ الالمانى قبل « هتلر » مذكرات عن حياته السياسية ، وفى نهاية هذه المذكرات لخص آراءه فى بضعة أسطر لا تتجاوز نصف صحيفة من مؤلفه ، وقال فيها ما ملخصه : « نحن الآن على حافة الهاوية ، ذلك لأننا تقدمنا فى العلم حتى صرنا (عبيد العلم) وتفننا فى الاختراع فأضحينا (عبيد الاختراع) وتمادينا فى استخدام الآلة إلى أن (حكمتنا الآلة) ولم يبق إلا بارقة أمل ضعيفة لا أظن أننا سنهتدى إليها ، هذا الأمل الوحيد فى النجاة هو أن (نؤمن) بأن هذا الكون له خالق ، وأن هذا الخالق قد وضع له قوانين ، وما على الإنسان إلا أن يسير طبقا لهذه القوانين ، فإن فعلنا ذلك تحررنا من (العبودية) واستطعنا نحن أن (نحكم) العلم والاختراع والآلة جميعاً ، وبذلك تنجو الإنسانية كلها من الهوة التى تقف على حافتها » .

* * *

ووضع أستاذ كبير من علماء السوربون مؤلفا حديثا سماه « المدنية الإسلامية » وخلاصة هذا المؤلف القيم قوله : إن العالم فى هذه الآونة من تاريخه تتجاذبه قوتان ماديتان جبارتان : قوة روسيا السفيتية ومعها بلاد ما وراء الستار الحديدى ، وقوة أمريكا ومعها جماعة حلف الأطلنطى ودول الرأسمالية الغربية ، وهاتان القوتان الماديتان لا طريق لهما إلى قلوبنا وستبقى فوق (أرض الله) قوة واحدة (لا يعرفها أصحابها) ، وهذا من حسن حظنا حتى الآن ، ولكن قد يأتى يوم يعرف أصحاب هذه القوة قوتهم ، فيدين لهم العالم بأسره .

هذه القوة التى حاربناها بضعة قرون ولم نستطع أن نستأصلها هى (الإسلام) فالإسلام يصنع (الرجل المثالى) الذى لا يقهر ولا يغلب ، وسر قوة هذا الرجل هو أنه (يؤمن) بأن الله واحد لا شريك له ، وأن الأمر كله بيده ، ومن شأن هذا (الإيمان) أن هذا الرجل إذا نودى للقتال لا يهاب الموت ، لأنه يعتقد فى قرارة نفسه أنه يقاتل فى سبيل الله وبأمر من الله ، وفى حياته اليومية يقف فى الصفوف مصليا ، وما صلاة الجماعة عند المسلمين

مكتبتنا العربية

إلا (التعبئة العسكرية) الدائمة المتجددة ، التعبئة التى تقوم على (النظام) وعلى (قوة روحية) عديمة المثال ، وتلك المآذن فى مشارق الأرض ومغاربها تنادى فى الجوزاء مئات الملايين بكلمة (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ، تلك هى القوة التى لا يمكن أن تقهر ، وهى التى تستطيع بعد هزيمة الرأسمالية والشيوعية معا أن (ترث الأرض ومن عليها) .

* * *

هذا ما يقوله الغرب عن الإسلام والمسلمين ، وهنا فى هذه البلاد ، وفى هذه الليلة ، وفى هذا المكان بالذات ، نسمع أناسا يقولون عكس ذلك ، ويعشقون الغرب ومدنيته ، ويريدون أن (يربطوا) مصيرنا بمصيره ، وإنى أؤكد لكم أن هذا الغرب قد انهار ، بعد أن طرد من آسيا وضرب فيها على أم رأسه ، ولم تبق إلا إفريقيا التى سيطرد منها يوما من الأيام ، ويومئذ لا تبقى طيبات يسرقها ، فتبيد حضارته الزائفة ، ويرجع إلى الغابة كما بدأ إن شاء الله .

ولكن ما حيلتنا ، ونحن معرضون لغزو يقوم به الآن الإنسان الآلى الزاحف من نصف الكرة الغربى ، ذلك الإنسان المجرد من الضمير والمقومات المعنوية ، ذلك الأمريكى الذى يبكى بدموع التماسيح ، ويخرج لنا كل يوم بدعة ، فيوما يقذفنا بما يسميه نقطة رابعة ، وأخرى بما يسميه معونة للشعوب المتخلفة ، وتحت ستار تلك الدموع ينبش أرضنا وأرض غيرنا ليسرق البترول وطيبات الأرض .

لا نريد أن نتكتل مع أولئك اللصوص فليس أقسى على أمة مجنى عليها من أن يطلب منها أن تتكتل مع الجانى ، ولكن يجب أن يتكتل المجنى عليهم ضد ذلك الجانى الأثيم الذى كتل نفسه أحلافا ومنظمات مختلفة الأشكال والألوان .

* * *

وبقيت ملحوظة أنبه لها قبل أن أترك هذا المكان : لقد تعلمت أمريكا من صناعة السينما الشىء الكثير ، وفطنت للدعاية وأهميتها . والدعاية الغربية تسير مع الجاسوسية لحساب الغرب جنباً إلى جنب ، هذه الدعاية التى تباشرها مؤسسة فرانكلين بمطبوعاتها ،

مكتبتنا العربية

والجامعة الأمريكية بقاعة محاضراتها ، والمدارس التبشيرية الأجنبية ، والصحف والمجلات التى تعمل بوحى من الأمريكيين ومن معهم من دول العصابة الاستعمارية ، هذه الدعاية لا تستهدف إلا غاية واحدة هى أن تجردنا من (قوميتنا) و (عقيدتنا الإسلامية) (ومقوماتنا الذاتية) وتقول لنا فى الصباح والمساء : كونوا غربيين ، أو كونوا أمريكيين ، وفكروا كما نفكر ، وعيشوا كما نعيش ، وتحالفوا معنا لتموتوا من أجلنا ، هذه الدعاية هى الخطر الداهم على هذه الرقعة من العالم التى نعيش فيها ، فيجب أن نقاوم ، وأن نأخذ منها حذرنا ، وعبثا يحاولون أن يسلطوها علينا فى ندوات نبحث فيها مثل حياتنا بين الشرق والغرب .

* * *

وثمة مسألة أخرى أود أن أشير إليها إشارة عابرة ، وهى مسألة (نظام الحكم) .

لقد تفنن الرجل الأبيض فى مواهبه ونظراته ، فتكلم عن (ديمقراطية) و (ديكتاتورية) و (شيوعية) و (اشتراكية) وغير ذلك ، وكلها نظريات منهارة ، وصور للحكم تتداعى يوما بعد يوم ، وما نحن بحاجة لشىء من هذا قط ، فعندنا (إسلام) خالد على الزمن ، وحجر الزاوية فى (نظام الحكم الإسلامى) هو أن الحاكم والمحكوم على السواء ، يخشون الله فى السر والعلن ، وحسبنا أن يؤمن الحاكم بأن الله سبحانه رقيب على تصرفاته ، وبعدئذ لا نكون بحاجة لأن نرهق أنفسنا بنصوص دستورية ، وصيغ تقتبس من هنا أو من هناك ، فليكن الإسلام فى هذه الديار صمام الأمن ، وطريق السلام .

وأما الغرب ونظرياته ، وما يسمى (حضارة) فأضغاث أحلام ، وبضاعة لا تصلح لكل وقت ، والإسلام لا يمنعنا من أن نسعى فى الأرض ، ونأخذ بأسباب العلم الصحيح إلى أبعد الحدود .

وفقنا الله إلى ما فيه الخير والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مكتبتنا العربية

صاحب التنقيح

صدر الشريعة الأصغر

لعل من الخير أن نقدم لقراء مجلة الأزهر شخصية فذة من الشخصيات العلمية التي اعترف بها علماء الأزهر، وقدروها حق تقديرها، وآثروا تخليد ذكراها، إذ قررت مشيخة الأزهر تدريس مؤلف في الأصول لهذه الشخصية.

وما ذاك المؤلف إلا تنقيح الأصول، الذي عنى صاحبه بجمع ما تفرق من علم الأصول، في كتاب فخر الإسلام البزدوي، وكتاب الأصول لجمال العرب ابن الحاجب.

وضم إليهما ما في كتاب المحصول لابن الخطيب الرازي، وصح له بذلك العمل الجليل، أن يسمي كتابه «تنقيح الأصول». ونرى من الصواب في هذا المقام، أن نشيد هنا بتأثير البيئة، وما لها من فضل في خلق الشخصيات الممتازة، وإيقاظ الهمم في تحصيل العلوم، والمعارف، والتبريز في ميدان السباق العلمي.

فنحن إذ نترجم لصدر الشريعة الأصغر عبيد الله بن مسعود صاحب التنقيح، الذي أخذ العلم عن جده. تاج الشريعة «محمود»، نرى أن تاج الشريعة أخذ العلم عن أبيه، صدر الشريعة الأكبر أحمد بن جمال الدين عبيد الله بن إبراهيم.

وهذا النسب العلمي المتسلسل من الأجداد إلى الأحفاد، لم يختص به علماء المذهب الحنفي، بل قد وجد في علماء المذهب الشافعي، في عائلة السبكي.

فأنت ترى تقي الدين السبكي يشرح البيضاوي في كتابه «الإبهاج»، ثم يسير في شرحه قليلا دون أن يتمه، ثم يأتي من بعد ذلك ابنه تاج الدين السبكي فيتم شرحه. ومثل هذا موجود في مذهب الحنابلة في عائلة ابن تيمية.

مكتبتنا العربية

فالمشهور من هذه العائلة تقى الدين أبو العباس بن شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن أبي محمد عبد الله . وكل من الحفيد وأبيه وجده إمام الأئمة فى زمانه ، ومفتى الأمة ، وفريد عصره ، وحبر أمته ، مشهود له بالعلم والفضل ، وله الرأى الصائب ، والحجة البالغة .

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى المغرب ، وجدنا فى قرطبة عائلة ابن رشد .

وإذا سمع ابن رشد انتقل الذهن فوراً إلى الطب والحكمة ، والتبحر فى علوم المنقول والمعقول . وصاحب الشهرة فى هذه العائلة هو القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، المشهور بالحفيد ، الملقب بقاضى الجماعة .

ومؤلفات ابن رشد لا ينكر فضلها علماء أوربا الذين انتفعوا بها ، وكرسوا مجهوداتهم وعكفوا على ترجمتها فى القرون الوسطى ، وجعلوها سراجا ينير لهم ما أظلم عليهم من جوانب الحياة العلمية والنواحى الفلسفية والقانونية .

* * *

ونعود بعد ذلك لنبين بشىء من التفصيل تاريخ صاحب التنقيح ونشأته .

فقد عرف منذ نشأته العلمية بصدر الشريعة الأصغر ، وكان حريصاً على تحصيل العلم عن جده ، يقيد كل ما يسمعه عنه من المسائل فى جميع العلوم .

وهو الشارح كتاب « الوقاية » الذى ألفه جده وأستاذه . ثم قام باختصار كتاب الوقاية فى كتاب « النقاية » .

وهذا المختصر خطى بالمكتبة الأزهرية ، كما أن كتاب الوقاية لا يزال مخطوطاً بهذه المكتبة أيضاً .

ولعل الأيام ترينا هذين الكتابين مطبوعين حتى يسهل تداولها والانتفاع بهما .

وقد أقبل العلماء على شرح كتاب التنقيح وكتابة الحواشى عليه ، نذكر منها :

شرح التلويح لسعد الدين التفتازانى على شرح التوضيح لمؤلف التنقيح . ويصف التفتازانى التوضيح والتنقيح فيقول :

« إن كتاب التنقيح مع شرحه المسمى بالتوضيح للإمام المحقق والنحرير المدقق ، علم

مكتبتنا العربية

الهداية ، وعالم الدراية ، معدل ميزان المعقول والمنقول ، ومنقح أغصان الفروع والاصول ، صدر الشريعة والإسلام - كتاب شامل لخلاصة كل مبسوط وافٍ ، وبحر محيط بمستصفى كل مديد وبسيط ، وكنز مغن عما سواه من كل وجيز ووسيط . فيه كفاية لتقويم ميزان الاصول ، وتهذيب أغصانها. وهو نهاية فى تحصيل مبانى الفروع وتعديل أركانها .

نعم قد سلك منهاجا بديعاً فى كشف أسرار التحقيق ، واستولى على الأمد الأقصى من رفع منار التدقيق ، وقد أطنب فى الثناء ، وأبدع فى وصف كتاب التنقيح وشرحه إلى أن قال:

« ثم جمعت هذا الشرح المرسوم بالتلويح إلى كشف حقائق التنقيح ، مشتملا على تقرير قواعد الفن وتحرير معاقده ، وتفسير مقاصد الكتاب وتكثير فوائده » .

ويصف صاحب كشف الظنون التلويح مع التوضيح والتنقيح فيقول : « هذا الشرح المسمى بالتلويح فى كشف حقائق التنقيح تصنيف سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الشافعى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ، هو شرح بالقول شرح فيه تنقيح الاصول للقاضى صدر الشريعة عبيدالله بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى المتوفى سنة ٧٤٧ هـ ، وهو متن مشهور ذكر فيه أنه لما كان حول العلماء منكبين على مباحث كتاب فخر الإسلام البزدوى ووجد بعضهم طاعنين على ظواهر ألفاظه أراد تنقيحه وحاول تبيين مراده وتقسيمه على قواعد المعقول ، موردا فيه زبدة مباحث كتاب المحصول ومباحث ابن الحاجب ، مع تحقيقات بديعة ، وتدقيقات غامضة منيعة ، قلما توجد فى الكتب ، سالكا فيه مسلك الضبط والإيجاز ، فصنف هذا الشرح ممزوجاً ، وسماه التوضيح فى حل غوامض التنقيح .

وناهيك فخراً ومجداً علمياً لصاحب التنقيح هـــذا الثناء المتكرر من علماء مشهود لهم بالقدرة على التمييز بين غث القول وثمينه ، والتفرقة بين لباب القول وقشوره ، وبين جوهره ومظهره .

وكما شرح التوضيح التفتازانى كتب عليه الفنرى حاشية . كما كتب عليه ملا خسرو حاشية أخرى .

وللجرجانى حاشية على التوضيح سماها « حزامة الحواشى لإزاحة الغواشى » .

مكتبتنا العربية

وللعلامة عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتى حاشية أخرى ، إلى غير ذلك من الشروح والحواشي المخطوطة والمطبوعة التى تدل على مقدار العناية التى لقيها متن التنقيح . ويكفى فى العصامية العلمية لصاحب الترجمة أنه كان من علماء القرن الثامن الهجرى الذى ركدت فيه الحياة العلمية عن ذى قبل ، فأصبح نجمه متألقا فى سماء قد اربدت بالغيوم بعض الشيء . فهو وغيره من علماء هذا القرن قد تضاعف مجهودهم ، وقويت عزائمهم حتى تغلبوا على عوامل الضعف ، واضطراب السياسة فى أزمانهم ، وعدم عناية أولى الأمر بعلماء الشريعة ، بل عدم عنايتهم بالعلماء جميعا لانشغالهم بأنفسهم عن كل هذه الأمور .

فليس عجيباً ولا غريبا أن نرى الأزهر الشريف يؤدى ضريبة الوفاء نحو العالم الجليل ، ويعمل على تخليد ذكراه بدراسة بعض مؤلفاته .

وليس أجدر بالتخليد من رجل خدم علم الأصول على النحو الذى شرحناه ؟

عبد الله المراغى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الافرنجى أمس واليوم

إن الافرنجى هو الافرنجى . . . ما تغير شيء من طبعه ، فهو اليوم كما كان عند مازحف إلينا من ثمانمائة سنة بما فيه من الظمأ إلى الدماء ، والقرم إلى اللحم . وإن هذه المدنية التى يتذرع بدعواها إن هى إلا غطاء سطحى لما هو كامن فى طبعه ، متهيء للظهور لأدنى حادث . فالمدنية العصرية لم تزد الافرنجى إلا تفننا فى آلات القتل ، وفصاحة فى التمويه وتسمية الاشياء بغير أسمائها . وبالجملة فالذى ازددناه منه هو الرياء لا غير .

شكيب أرسلان

مكتبتنا العربية

منع القراءة

بجمع الحروف والوقف فى المحافل

شاع بين القراء فى هذه الأيام التنافس والتباهى بجمع القراءات فى المحافل العامة ، تارة بتكرير الكلمة الواحدة بطرق مختلفة ، وتارة بتكرير الآية كذلك ، وقد يبلغ التباهى ببعضهم إلى الإتيان بذلك فى نفس واحد - وقد تساءل الكثيرون عن حكم القراءة بالجمع ، وهو موضوع قديم استفتى فيه العلماء فأفتوا فيه بالمنع ، ذلك أنه فى اليوم السادس من رجب سنة ١٣٤٠هـ أرسل جمع من علماء سوهاج ومعهم القاضى الشرعى الشيخ محمد خالد داود إلى شيخ المقارئ المصرية الشيخ محمد خلف الحسينى يستفتونه فى قارئ يقرأ بجمع القراءات فى المحافل العامة ، فأجاب رحمه الله بما نصه :

« إنا لم نر لأحد من علماء الفن ولا غيرهم نصاً على جواز القراءة بالجمع على أى طريقة من طرقه فى المحافل ، نعم أجازها بعض المتأخرين من أهل الفن فى حال التلقى من الأشياخ لضرورة الإسراع بشروط مدونة فى الكتب . إذا علم هذا فجمع قراءة أو رواية مع أخرى فى غير حال التلقى ممنوع ، بل لا تجوز القراءة برواية غير المعتادة عند العامة إلا إذا وجد فى المجلس عالم بها غير القارئ ، فإذا قرأ القارئ على هذا الشرط لا ينتقل من الرواية التى يقرأ بها إلى غيرها حتى ينتهى مجلسه على مذهب الإمام النووى . وأجاز ابن الصلاح انتقاله إلى غيرها إذا انتهت القصة » .

وما كادت تصل فتوى شيخ المقارئ المصرية إلى المستفتين ، ويشتهر أمرها ، حتى ثار بعض جهلة القراء . ولما خشى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حينئذ على الناس من فتنتهم دعا إلى الحضور بدار إدارة المعاهد الدينية فى الرابع من ذى القعدة سنة ١٣٤٠ بعض كبار العلماء والقراء فى ذلك الوقت ، وهم شيخ المقارئ المصرية الشيخ خلف الحسينى ، والشيخ أحمد مكى ، والشيخ على منى ، والشيخ محمد دياب ، والشيخ همام قطب ، والشيخ على سبيع ، والشيخ حسن الجريسى ، والشيخ سابق السبكى ، وفحصوا نصوص علماء فن القراءات كنص

مكتبتنا العربية

الإمام ابن الجزرى فى النشر والمنجد ، والعلامة السيوطى فى الإتقان ، والصفاقسى فى غيث النفع ، والأشمونى فى منار الهدى ، فازداد لهم جلاء أن جمع القراءات السبع أو الأكثر أو الأقل فى ختمة واحدة لم يقع فى الصدر الأول أصلا ، بل كانوا يقرءون لكل راو ختمة ، دون أن يجمعوا رواية إلى أخرى ، واستمر العمل على ذلك إلى أثناء المائة الخامسة عصر الدانى وغيره ، فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى ختمة واحدة لضرورة سرعة التحصيل ، ومنعه بعض الأئمة لمخالفته لعمل الصدر الأول . وحيث لم ينص أحد على جواز الجمع فى غير حالة التلقى فيكون بدعة ، لا يساعدها نص ولا قياس ولا عمل الماضين من السلف الصالح ، وقد تؤدى إلى التخليط والتلبيس .

لهذا قرر ذلك الجمع من أساطين علماء الأزهر وأهل الفن - باتفاق الآراء - منع جمع قراءة أو رواية مع أخرى بأى طريقة من طرقه فى أى مجلس كان ، كما قرروا كذلك منع القراءة برواية غير المعتادة عند العامة ما لم يوجد بالمجلس عالم بها ، وأنه إذا قرأ قارئ بإحدى الروايات لا ينتقل منها إلى غيرها إلا إذا انتهت القصة وشرع فى غيرها ، فله أن يقرأ ما شرع فيه برواية أخرى ، وإن كان الأولى أن يسير على الرواية التى بدأ بها حتى ينتهى المجلس ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

محمد محمد جابر
المفتش بالأزهر

الاختلاط

زعم السفورَ والاختلاط وسيلة ... للمجد قومٌ فى المجانة أغرقوا
كذبوا ، متى كان التعرض للخنا ... شيئا تعز به الشعوب وتسبق

محمد حسن النجمى

مكتبتنا العربية

عزة النفس . . .

إذا قيل : هذا مورد ، قلت : قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ... ولا كل من لاقيت أرضاه منعما

هذه كرامة نفس ، واستعلاء خلق ، وقوة يقين ، وطهارة منزع . وإذا كان هذا الشاعر يتخير المنعمين ، وتستفزه بعض البروق ، فإن الشاعر الآخر يأبى أن يكون لأحد عليه فضل ، حتى لا يستخزى أمامه حين يغضب لكرامته .

خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة ... علىّ يدا ، أغضى لها حين أغضب

بل هذا الشاعر نفسه ، العالم العظيم ، القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، يتأبى على ناصحيه بأن يتخذ الخضوع وسيلة للغنى ، فإنه يرى الخضوع ذاته فقرا .

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى ... وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبينى وبين المال شيئان حرما ... علىّ الغنى : نفسى الأبية والدهر
إذا قيل : هذا اليسر ، أبصرت دونه ... مواقف ، خير من وقوفى بها العسر

* * *

والحياة كلها تهون عند الحر ، حين تريد منه أن يمتهن كرامته ، أو يهوّن فى نفسه رغبة فى العيش . فالحر يظمأ وينال منه الظمأ ، وتوفى نفسه على الهلاك ، ويترامى له الماء ، ويبرز أمامه المنهل العذب ، ولكنه يحتمل الظمأ صابرا ، ويصبر على حر العطش راضيا ، احتفاظا بكرامته ، وتعاليا بنفسه ، لأن الطريق غير نظيف ، وقد يحتاج سالكه إلى أن يطأطىء من رأسه ، ويحنى قامته . ومن أمثال العرب : تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ، يريدون أن الحرة لا تكون ظئرا ، ولو نال منها الجوع ، وبلغ من نفسها الحرمان .

وما قيمة المال ، وما قيمة الجاه ، وما قيمة الشهرة ، وبعد الصيت ؟ ما قيمة كل ذلك ، إذا كان الراغب فى الحياة ، قد وصل إليها ، أو إلى شىء منها ، بعد أن عفر جبهته على أعتاب اللئام أو اللئام ، ولخير للمرء أن يعيش نكرة مجهولا لا يعرفه أحد ، ولا يسمع به إنسان ، ولخير له أن يعيش فقيراً محروما ، ولخير له أن يلقى أصنافا من المتاعب والمشاق فى حياته ، خير له كل أولئك ، من أن يذله حب العيش ، ويخضعه سلطان الحياة .

مكتبتنا العربية

وقد بلغت عزة النفس بكثير من رجالاتنا مبلغا أصبحوا بها مُثلا تحتذى ، فهذا العز بن عبد السلام سلطان العلماء ، له فى هذا الباب مواقف مشهورة ، وقصص عالية مأثورة ، ولعل من أبلغها وأشهرها موقفه من الصالح اسماعيل ، قالوا : إن الصالح اسماعيل حين غضب على الشيخ ، وطرده من الشام ، وصار الشيخ إلى منتصف الطريق ، بعث إليه من يرجعه ، فأخذ الرسول يستلينه ويترضاه ويقول له : بينك وبين أن تعود إلى مناصبك ، وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لاغير ، وهنا تعلن نفس الشيخ عن كريم معدنها ، وتجرى على لسانه تلك الكلمات الحرة الحاسمة : والله يامسكين ، ما أرضاه يقبل يدى ، فضلا عن أن أقبل يده ، يا قوم ، أنتم فى واد ، ونحن فى واد ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به .

ولعل من عزة النفس أن يتحمل الإنسان ماينزل به صابرا جلدا ، وأن يلاقى الخطوب مبتسما ، وأن يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب ، فلا يكثر من الشكوى ، فإن الشكوى ذل ، وليس إشفاق المترحم بأقل إيلاما للحر من شماتة الشامت :

لا تشكون لعاذل أو عاذر حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة فى النفس مثل شماتة الأعداء

وإذا كان فى الشكوى إلى ذى مروءة ما يواسى أو يسلى ، فإن الراحة التى يجدها الشاكى دون ذل الشكوى :

وراحة النفس فى الشكوى ولذتها ـ لو أمكنت ـ لاتساوى ذلة الشاكى

* * *

ويقترن بعزة النفس علو الهمة ، ولعلو الهمة مظاهر كثيرة : منها أن يعتمد الإنسان على نفسه ، وأن يسود بفعاله وكريم خصاله ، وألا يكون كل فخره فيما ورثه عن آبائه ، فإن أصغر ما فى النفس أن يعيش المرء على جاه الآباء والأجداد ، قال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله ـ وكان عبيد الله من أعلى الناس همة ، حتى لقد بلغت به همته الشطط ـ : يا بنى ، ألا أوصى بك الأمير زيادا ؟ قال عبيد الله : يا أبت ، إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فاخى هو الميت .

ومن مظاهر علو الهمة أن تحسن إلى عدوك ، رغبة فى الإحسان ، لاخوفا منه ، قال صاحب العقد الفريد : « ومن أعز الناس نفساً ، وأشرفهم همما : الأنصار ، وهم الأوس

مكتبتنا العربية

والخزرج ابنا قيلة ، لم يؤدوا أتاوة قط فى الجاهلية إلى أحد من الملوك ، وكتب إليهم تبع يدعوهم إلى طاعته ، ويتوعدهم إن لم يفعلوا ، فكتبوا إليه :

العبد تبعكم يروم قتالنا ومكانه بالمنزل المتـــذلل
إنا أناس لا ننام بأرضنا عض الرسول ببظر أم المرسل

فغزاهم تبع أبو كرب . فكانوا يقاتلونه نهارا ، ويخرجون إليه القرى ليلا ، فتذمم من قتالهم ، ورحل عنهم » .

وبدهى أن علو الهمة ، وعزة النفس ، والاحتفاظ بالكرامة ، كل هذه شىء ، ومعاملة الناس بالغلظة والجفاء ، والتعالى عليهم ، وشموخ الأنف ، وتصعير الخد ، شىء آخر ، فشتان بين رجل عالى النفس ، ورجل متكبر : ذاك كريم الطبع ، طيب العشرة ، حسن المخالطة ، يألف الناس ويألفونه ، ويوطىء لهم كنفه ، ويعاملهم بالرفق واللين ، ولكنه حين يبدو له ما عسى أن يخدش كرامته ، ويحط من قدره ، يغضب غضبة الأسد ، وفى مثله يقول المتنبى :

غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ، ولا يلاقى الهوانا

أما الرجل المتكبر ، فهو وضيع يريد أن يرفع نفسه ، وخسيس يحاول أن يظهر أنه شريف ، ولولا أنه يشعر فى باطنه بحقارته ما تعاظم على الناس ، فتراه يمشى وكأنه يقول للناس : اعرفونى ؛ من أنا ؟ نعم . قد عرفك الناس ، ثمن أنت ؟ أنت صغير يوهم أنه كبير ، وسوقة يتشبه بالسادة .

إليكم هذه القصة ، فإنها تمثل تواضع العظماء ، وتلطف الكبراء : كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير مع بعض أصحابه فلقيته امرأة من قريش ، وكان واضعا يده على كتف صاحبه ، فقالت له : ياعمر . فوقف لها ، قالت : كنا نعرفك مدة عميرا ، ثم صرت من بعد عمير عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين ، فاتق الله يابن الخطاب ، وانظر فى أمور الناس ، فإن من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال صاحبه : يا أمة الله ، أبكيت أمير المؤمنين ! فقال له عمر : اسكت . أتدرى من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه [1] ، فعمر أحرى أن يسمع قولها ، ويقتدى به ! ؟

على العمارى

---

(١) هى صاحبة القصة المذكورة فى قوله تعالى : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما » .

مكتبتنا العربية

قتيبـــــــة بن مسلم

— ٢ —

اشتدت شوكة الجيش الإسلامى بالنصر المؤزر ، وأحس قتيبة أن قوة من السماء تسانده وتعاضده ، فخطب فى جنوده وحثهم على مواصلة الجهاد ، وأكد لهم أن العدو المنهزم لا يلبث أن يتكتل مرة ثالثة ، وأن الجيش الإسلامى يقف وحده أمام ممالك كثيرة متكتلة ، ولن يفوز بغير الصبر والإيمان . وكان ما توقع القائد العربى أن يكون ، فقد كان الملك نيزك صاحب باذغيس يضمر حقدا عنيفاً للفاتحين ، فأظهر الخضوع والاستسلام خدعة ودهاء ، ووصل إلى المعسكر الإسلامى ليستطلع أموره ويقف على دقائقه وخوافيه ، ثم مالبث أن ارتد محنقا إلى ملوك بلخ ومرو والطالقان والجوزجان ، فأشعل فى كل مملكة ثورة ، وأضرم فى كل صدر ناراً . ووجد قتيبة عدوه يتجمع ويحتشد ، فاستقدم جنوداً إسلامية من نيسابور وغيرها ، ولم يدع الايام توسع لأعدائه سبيل الأهبة والاستعداد ، فتوجه مسرعا إلى نيزك صاحب الفتنة فوجده يعتصم بآكام ومضايق وعرة لاسبيل إلى النفاذ إليها . فلبث المسلمون أياما لا يهتدون إلى ثغرة تلوح ، حتى سهل الله كل صعب ، فسلكوا طريقا واضحاً إلى معسكر العدو ، ودار الموت الأحمر فى حومة القتال ، فسقطت نفوس كثيرة ، وتمكن قتيبة من النصر بعد معارك طاحنة يشيب لها الولدان .

تابع البطل الفاتح زحفه إلى شومان والصغد وسجستان وخوارزم ، فكان موفق الخطوات ميمون العاقبة . ولكن الوثنية الحائرة تكتلت للمرة الرابعة أمامه ، وهبت تقاتل فى يأس مرير ، يتقدمها أبناء الملوك والمرازبة والأساورة ويقودها ابن خاقان ، فرأى قتيبة أن يتفرغ لرسم الخطة وإدارة الموقعة ، وندب أخاه صالح بن مسلم لقيادة الحومة ومواجهة الصفوف ، ثم أمر لفوره أن تنصب المجانيق على أسوار سمرقند ، وما زال يضربها حتى تصدعت أركانها وتساقطت أحجارها ، واشتد الضيق بالوثنيين ، فطلبوا الصلح ، وانتصر الإسلام انتصاراً حاسماً ، ودخل قتيبة المدينة ، وبنى مسجداً وصلى به ، وانتخب لها والياً قوياً من جنوده ، فاستضاءت بنور محمد ، وترددت فى جوانبها أنغام الأذان .

كسب قتيبة هذا المجد الباهر فى ثمانية أعوام لم تمر بها ليلة واحدة فى راحة جسم

مكتبتنا العربية

أو هدوء بال ، بل كان الجيش الإسلامى يواجه أهوالا رائعة ، ويقع فى مآزق حرجة : فتارة تنفد ذخائره ، وطورا يفقد زهرات من شبابه ، وقائده من وراء ذلك يبث فيه من روحه وينفخ من عزيمته ، ويضرب المثل بنفسه فيتقدم الكتيبة الحمراء ، ويفتح صدره للرماح المشتجرة ، وكان حافزه الملح إلى الجهاد ، هيامه بانتشار الإسلام ، وذيوع تعاليمه ، فكلما نظر إلى الوثنية تتغلغل فى بقاع لاتعرف الضياء ، عزم على استئصالها بكل ما أوتى من شجاعة وإيمان ، وكان يثلج صدره أن يدخل المدينة الجديدة فيشرح للناس هداية الإسلام ويقرئهم آيات القرآن وأحاديث الرسول ، ويدع بها من العلماء من يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . لذلك نرى المساجد تبنى فى كل مكان ، ونرقب أئمة المسلمين وعلماءهم يسيرون مع الجيوش الباسلة ، فيأمرون بالعدل والإحسان ، وينهون عن الفحشاء والمنكر ، ويقيمون الدعائم الرفيعة للأخلاق الإسلامية ، فيحيون المساواة العادلة فى أمم تنازعها الإقطاع ، وتعددت بها الطغاة ، وتأله فيها الحجر ، وعبد الصنم والكوكب والنار من دون الله ، وقد حارب قتيبة الخرافات الدينية بنفسه ، فأحرق أصناماً مقدسة ، وأطفأ بيوتاً للنيران كانت تتقد وتلتهب .

يقول ابن الأثير : (وأتى بالأصنام فكانت كالقصر العظيم) ، فأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت ، فقال غوذك (ولعله أحد مؤيديه) : إن شكرك علىّ واجب ، فلا تتعرض لهذه الأصنام ، فإن بها أصناما من أحرقها هلك . فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدى . ودعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت .

ونحن مع إعجابنا البالغ بقتيبة لا ننكر أثر الحجاج فى التوجيه والمشورة ، فقد كانت عينه متيقظة لمطالب جنده النازح ، وكان البريد يصله بأخبار الفتوح ، وهو لايفتأ يعد الذخائر ويبعث المؤن ويشير بالخطط ، وإذا كانت الخطة غير التنفيذ ، فإن مما يشرف قتيبة أن يصل إلى النصر الحاسم فى طريقه المرسوم ، ظافرا مؤيدا ، وأن يخضع الجيش الإسلامى لرغباته ، دون أن يرتفع صوت واحد بمعارضته ، وأن يزن أعوانه وجنوده فيضع كلا فى موضعه اللائق ، دون اعتبار لغير الكفاءة الشخصية ، والمقدرة الحربية ، حتى تكلل جهاده بالتوفيق ، وقدرت له دمشق بطولته فبعث إليه الوليد بن عبد الملك بكتاب يفيض بالمدح والثناء .

مكتبتنا العربية

وواضح أن الإسلام لم ينتشر فجأة فى بلاد ما وراء النهر بمجرد انتصار قتيبة ، فإن دين البشر متغلغل فى الأعماق ، ولا يمكن انتزاعه بانتصار فى موقعة ، أو بناء مسجد فى مكان ، لذلك لاقى المسلمون بادىء الأمر رهقاً عسيراً فى التبشير بدينهم ، كما لقى الذين أسلموا من الوثنيين مقاومة عنيفة من ذويهم ، حتى هدى الله النفوس للحق فأشرق عليها نور الإسلام طواعية واختياراً ، ورأى هؤلاء من سماحة المسلمين ما حببهم فى الإسلام وأدناهم منه . ولم تمض سنون حتى أصبحوا من أنبغ أهله علما وعملا ، وذخرت المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم العلمية والدينية ، فأصبحت ترى فى أساتذه الإسلام وأئمته من سمى بالبخارى ، والسمرقندى ، والبيهقى ، والنسفى ، والخوارزمى ، والترمذى ، والنيسابورى ، والزمخشرى ، والبيضاوى ، والشيرازى ، إلى آلاف من الأفذاذ يتحدث عنهم تاريخنا العلمى حديثاً مضمخا بالثناء .

* * *

وقد مات الحجاج وهو الساعد الأيمن لقتيبة ، وتوفى بعده الوليد بن عبد الملك ، وكان لا يقل عنه تعضيدا للبطل الفاتح ، فخسر بوفاتهما دعامته القوية التى كان يستند إليها فى قيادته ، وأصبح أمام سليمان بن عبد الملك وجها لوجه .

وكان الخليفة الجديد يؤاخذ قتيبة وآخرين من أقطاب المجاهدين والولاة بأنهم كانوا يتعصبون عليه لأخيه الوليد ، فكان فى نفسه شىء من الضغن عليهم . وكان ينبغى له وقد ارتقى إلى منصب الخلافة أن يتناسى ذلك لهؤلاء القادة البواسل الذين رفعوا راية الإسلام وأعلوا مكانة الدولة إلى السماء ولو أصاخ قليلا إلى منطق العقل النزيه لسعى إلى استرضائهم وجهد فى تقريبهم ، ليكونوا معه كما كانوا مع سابقه . وقد ضاعف النكبة على قتيبة أنه كان قد قد تأهب لغزو الصين ودخل مدينة كشغر وأصبح قريبا من الحدود ، وأتت الرسل تسعى بالسفارة بينه وبين الدولة المهددة بالغزو الإسلامى ، أفيتراجع فجأة عن الغزو منتظراً ما يأتيه من دمشق ؟ أم يستمر فى مراسلة ملك الصين واستطلاع داخله مع حرج مركزه ، ودقة موقفه المتأرجح ؟ ! مهما يكن من شىء فقد استمع قتيبة إلى نداء البطولة . وعصفت برأسه النخوة العربية حين جاءه رسوله هبيرة السكلانى يحمل تهديد الإمبراطور الصينى . فبعث يعلمه أنه لن ينصرف عن بلاد الصين حتى يطأ الأرض ويختم الملوك ويعطى الجزية . وكان لهذا الرد الحاسم زلزال عنيف فى صفوف الجيش الصينى . فحارت قوى الإمبراطور وبعث

مكتبتنا العربية

بالجزية صاغرا مع بعض أبنائه ، فكف عنه قتيبة ، ولولا دقة موقفه السياسى لاقتحم أرضه وضم إلى الإسلام أصقاعاً جديدة ، ولكن ماذا يصنع ؟ والريح عاصفة ، والجو ملبد بالغيوم ، يجلجل بالرعود .

ولم يلبث سليمان أن أصدر قراره بعزل قتيبة ، كما أمر بإحضاره إلى بلاط الخلافة فى دمشق ، ولو استجاب البطل الفاتح لهذا العزل الظالم للقى مصرعه ، كما لقيه فاتح الهند الأعظم محمد بن القاسم الثقفى بعد جهاد ميمون ونصر مبين . لقد فضل قتيبة أن يموت فى حومة القتال دون أن يلقى منيته فى غياهب السجن ، وثقيل الأغلال ، فأعلن مخالفته الصريحة ، وقاد كتائبه الجريئة ليقف أمام جنود الخليفة . ولكن سهماً طائشاً أودى بحياته فسقط شهيداً ، وطارت روحه الباسلة إلى ربها راضية بمآثرها البيضاء ، وجهادها الخالد . ومن المؤسف أن أكثر أعوانه من العرب تألبوا عليه فى محنته لا لشىء إلا أنه وثق فى كفاية بعض الخراسانيين فقدمهم فى الألوية والقيادة مع نظرائهم من العرب ، مؤثرا المساواة العادلة التى شرعها الإسلام ، وكأنه بذلك قد جانب حقا واضحا ، واعتصم بضلال أكيد .

وكان لمصرع قتيبة دوى هائل فى العرب والفرس معا ، أما المخلصون من العرب فقد رثوه بقصائدهم النائحة ، وأقض مضاجعهم أن تكون نهاية البطل الفاتح قريبة عاجلة بعد أن عقدت عليه الآمال ، ومكن للإسلام فى بلاد يعوزها الإشراق والإيمان ، وأما العقلاء من الفرس فقد صعدوا الزفرات الحارة حزنا على استشهاده الأليم .

* * *

مر خراسانى على جثة قتيبة وهو مضرج بدمائه ، فبكى واستعبر وقال : يامعشر العرب ، قتلتم قتيبة وهو الفارس المغوار ، ولو كان منا معشر الفرس فمات لجعلناه فى تابوت ، فكنا نستفتح به كلما دقت طبول الجهاد .

وقال آخر : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب وهما سيدا العرب بخراسان ، فقال له بعض السامعين : أيهما كان عندكم أعظم وأهيب ؟ قال لو كان قتيبة بالمغرب الأقصى مكبلا بالحديد ، ويزيد معنا فى بلادنا ، لكان قتيبة أهيب فى عيوننا وأعظم .

مات قتيبة رحمه الله وبقيت صحيفة أعماله خالدة ناصعة ، فرفعه التاريخ إلى أفق زاهر يشرق بالبطولة والكرامة والشهادة ، وفى ذلك عزاء أى عزاء . وسلام على البطل العظيم ؟

محمد رجب البيومى
من علماء الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

كنوز النقب وموقعه

النقب - ومعناه فى العبرانية الجنوب (نجب) - هو القسم الجنوبى من فلسطين ، يحده البحر الأبيض من الغرب ، ووادى العرابة من الشرق ، وصحراء سينا من الجنوب ، ومقاطعات يافا والرملة والخليل من الشمال .

فالنقب بهذه الحدود يشمل مساحة كبيرة تساوى نحو نصف مساحة فلسطين ، أى أحد عشر مليوناً من الدونمات من ستة وعشرين مليون دونم هى مساحة فلسطين جميعها ، ويتألف منه موقع استراتيجى خطير له شأنه بالنسبة للعالم العربى ، لأنه يقع بين مصر وبلاد الاردن ، ويتصل بميناء العقبة وفلسطين ، والذى يملكه يهدد مواقع كثيرة . وهو حيوى خطير بالنسبة لمصر بالدرجة الأولى ، واستيلاؤها عليه يؤمن اتصالها بالبلاد العربية . ويقطع صلة اليهود وخطرهم عن الحجاز وعن القسم الجنوبى من المملكة الاردنية وما يليها أى العراق والمملكة السعودية .

وأراضى النقب خصبة إلا فى شماله فهو صحراوى ، وهو مرتفع من الشرق ، ويسير بانحدار إلى الغرب حتى ساحل البحر الأبيض ، وإلى الجنوب حيث يتصل بصحراء سينا .

* * *

وقد عنيت بريطانيا واليهود بكشف أراضيه ، فتبين أن فيها كنوزاً عظيمة من المعادن . وقد نشر أخيراً كتاب لشركة مناجم إسرائيل بقلم كبير خبرائهم أ . دافيد ، فأعلن أن فيه معادن الحديد والنحاس والمنغانيز .

وقدر اليهود موقع النقب وقيمته ، فقتلوا الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة لفلسطين ، حينما قرر أنه ضرورى للعرب ، ولم يبال اليهود بقرار هيئة الأمم بل خرقوا الهدنة وفاجأوا الجيش المصرى كما هو معلوم لمن كان يتابع سير القتال فى فلسطين ، وكانت لهم فيه جيوب من ورائه إلى الشمال ، هى المستعمرات التى تقرب من الثلاثين ، وبمجرد استيلائهم عليه أنشأوا أربعا وعشرين مستعمرة فى وقت واحد ، إلا أن سكان هذه المستعمرات أخذوا فى التذمر ، وأخذوا يهددون بالرحيل عنها ، فهبت إسرائيل تعلن عزمها على سحب

مكتبتنا العربية

المياه إليه بتحويل نهر الأردن أو غيره ، ولما أعلن بن غوريون اعتزاله قرر النزول فى النقب تشجيعاً لهؤلاء السكان المتذمرين ، ومع ذلك فإن فيه آبارا ارتوازية كثيرة تنعش من فيه ، ورجال السياسة والجيش منهم يعلقون على النقب آمالا كبيرة ، إذ يعتقدون بأنه يتسع لسكنى مليون مهاجر يهودى .

* * *

والنقب يتصل فى الجنوب الشرقى بخليج العقبة حيث « ايلات » التى مسخ بعض أهلها من قدماء اليهود قردة وخنازير ، وقد شرحت لقراء مجلة الأزهر فى العام الماضى أهمية هذا الموقع ومستقبله ، فى مقال عنوانه « ميناء العقبة » نشر فى جزء جمادى الآخرة ١٣٧٣ ، وفى الجهة الشرقية يقع وادى العرابة ، وهو ممر خطير يصل البحرين الميت والأحمر ، وقد عرضت النقطة الرابعة مد سكة حديد فى هذا الموقع فرفضت ذلك حكومة الأردن ولاسيما الجيش ، ما دام النقب بيد الأعداء .

هذا هو النقب واتصالاته وكنوزه ، وإن موقعه الخطير هو الذى يغرى به اليهود ومن يوالونهم ، وذلك مما يوجب على العرب - ولا سيما مصر - بذل كل جهد لمنع العدو من التمكن فيه وبلوغ آماله منه ؟

نابلس **احسان النمر**

الايمان

• الإيمان قوة الحياة .

• كما أنه لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير قلب ، كذلك لا يمكن لإنسان أن يحيا بغير دين .

• دلتنى خبرة عشرين سنة على أن السبب الأساسى لتفشى المجون والفساد سوء طريقة تلقين التعاليم الدينية . (تولستوى)

مكتبتنا العربية

الى أين ؟

المـادة ـ الروح ـ العلم ـ الدين

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .
قرآن كريم

« العلم والدين توأمان متلاصقان . فصلهما يؤدى إلى موتهما » .
هكسلى

يخيل للناظر فى هذا العنوان للوهلة الأولى عظم الشقة بين هـذه الحقائق ، وبعد ما بين مدلولات هذه الألفاظ . ويسبق إلى ذهنه ذلك الصراع المخيف بين الفكر والوجـدان، وقوانين المـادة والروح ، ونظم البحث فى العلم والدين ، وتدوى فى آذانه من أعماق التاريخ تلك الصرخات المرعبة التى أطلقها العلماء بسبب ما خالط بعض الأديان من أهواء وأغراض .

لكنى مع هذا واثق بأنه ستكون بجانب هذه الصور الرهيبة صورة أخرى هادئة واعية ، تلك التى ستدفع هذه الأوهام والأهواء ، وتوفق بين العلم والدين ، كما وفق الخالق العظيم بين المـادة والروح ، وبذلك تتوارى تلك الصور القاتمة المؤلمة متخاذلة هاربة ، ويسود الوئام والوفاق بين العلم والدين .

لو شئنا أن نأتى بتعريف معيارى جامع مانع لهـذه المعانى الـكلية التى تتعرض للـكلام عنها فإننا لن نستطيع أن نظفر بتعريف من هذا النوع ، فقد أعيى ذلك العلماء والفلاسفة حتى الآن ، لهذا فإن كلامنا سيكون عن كل بالقدر النسبى للمعرفة البشرية ، والبشرية محدودة ، وفوق كل ذى علم عليم ، فالعلم المطلق لهذه الـكليات قد اختص به خالق المـادة والروح ، وواهب العلم والعقل ، والموحى بالأديان إلى من اصطفاهم من البشر .

لاشك أننا نلمس أشياء بأيدينا ، ونسمع أصواتا بآذاننا ، ونرى أشياء بأعيننا الخ . كل تلك الأمور أمور مادية ندركها ، وهى قريبة معلومة مدركة بالحواس المجردة ، وبعدها أمور مادية أيضا تحتاج فى إدراكها إلى آلات ، وأخرى أشد احتياجا فى إدراكها إلى آلات أدق ، لإمعانها فى البعد ، أو فى ضآلة الحجم .

مكتبتنا العربية

ولا شك أننا كذلك فيما يدركه العقل من معنويات ، فمنها أمور قريبة ندركها بمجرد تفكيرنا : كالصدق ، والشجاعة ، والكرم ، والجمال ، والمساواة ، هذه معنويات قريبة مفهومة يدركها العقل العادى مجردا دون استعانة بشيء . ويليها أمور أعمق منها تحتاج إلى صفاء الآلة المدركة سواء كانت العقل أو الروح . . ووراء هذه معنويات أشد عمقاً وخفاء لا يستطيع العقل إدراكها ، تلك هى المغيبات ، وقد جاء الوحى مبينا الكثير من هذه المعقولات .

وقد دفع البحث فى المادة والروح إلى أن يضع الإنسان لكل من الناحيتين طرقا للبحث ونظما يسير عليها . فطرق البحث فى المادة غيرها فى المعنويات والمعقولات . والغاية عند الباحثين فى المادة غيرها عند الباحثين فى المعنويات والمعقولات ، والدارسين للنفس والروح والدين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما هو الطريق الذى يسلكه النوع البشرى ليحقق لنفسه حياة تجتمع فيها أسباب الهناءة المادية والسعادة والاطمئنان الروحى .

هل ينبغى للعالم البشرى إذا أراد تحقيق معانى الإنسانية العالية فى المجتمع البشرى أن يعيش فى عالم المادة ، خاضعا لنظمها ، لا يصدر فى تصرفاته إلا عن المادة ، وما توحى إليه به من أسباب ومسببات ، مهملا شأن الروح ، منكرا لها ، مجانبا كل ما تهدف إليه الروح ، وما توحى به الأديان من المعانى السامية ، والقوانين والنظم الراقية .

أم أنه يجب أن يستظل براية العقل ، مستهديا بنور الروح ، مستوحيا هدى رب العالمين .

الجواب على ذلك هو ما سطر على صفحات التاريخ البشرى فى جميع الحقب والعصور من صراع بين علماء المادة والروح ، وأتباع كل ، وما نسمعه ونقرؤه فى مجتمعنا اليوم فى الصحف والمجلات ، وقاعات المحاضرات والمناظرات ، صراع سجلته البشرية فى بطون التاريخ . وسيظل هذا الصراع قائما ما بقى الإنسان ، وما بقيت المادة والروح ، وما بقى للإنسان فكر ووجدان ، بل وما بقى الإنسان إنسانا .

ويجمل بى أن أطوف بالقارىء الكريم فى رحلة قصيرة موجزة ، لأضع أمام عينيه بعض ما سجلته البشرية من صراع بين المادة والروح ، أو بين العلم والدين ، حتى إذا ما قلنا للقارىء بعد ذلك : إن الإنسان يستطيع أن يحقق المعانى الإنسانية الرفيعة ،

مكتبتنا العربية

والتعاليم الدينية القويمة مع حياة مادية رغيدة تحت ظل راية الدين ، لا نكون قد طلبنا منه شططا أو ركبنا خطأ ، فقد سجل التاريخ حقبة من الزمان عاشت فيها البشرية على أكمل ما تكون من روحانية سامية مع عيشه مادية هادئة .

* * *

لا أذكر الصراع العنيف فى القديم بين المادة والروح عند الوثنيين من مصريين وكلدانيين وهنود ويونانيين ، ولكنى أترك هذا كله لأقف بك قليلا عند الموسوية كما تصفها التوراة التى بأيدينا ، فقد شددت الحصار على البحث الفكرى (العلم) إذ كل المعارف بالوحى الإلهى ، وكلها مسطور فى الكتب المقدسة وقالت : « إن الحكمه ليست من نصيب البشر ، وليست فى الأرض ، ولن يستطع الإنسان ـ مهما بذل ـ الوصول إليها » .

وفى المسيحية التى عقّدها ما أدخل عليها من آراء فلسفية ، يرى القائمون عليها ـ لحفظ سلطانهم ـ تضييق الخناق على البحث الفكرى (العلم) ، ليبقى منزويا ضعيفا لا يتطاول إلى هدم السلطان الروحى الذى يعقبه ـ ولا شك ـ انهيار سلطانهم المادى .

قطعت الإنسانية وقتا طويلا فى الصراع بين المادة والروح : طورا يطلق فيها للعقل سراح البحث الفكرى ، وآونة يحجر عليه فيحرم نسيم الحرية .

* * *

وقبيل مجىء الإسلام كانت الإنسانية قد تضاربت فى كل معارفها المادية والروحية ، وتشككت فى كل ما لديها من مقدسات ، وأشبهت سفينة فى مهب الريح ، تتقاذفها الأمواج فى بحر لجى تبغى مرفأ ترسو إليه .

كانت الإنسانية تتطلب دينا يشبع تفكيرها ، وينظم حياتها ، فقد عذبها ما حولها من علم ودين ، فوافاها ذلك الدواء الإلهى على لسان خير الرسل سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ، فشفى داءها ، وأذهب شقاءها ، وبدل حياتها سعادة وهناء وسموا وارتقاء . ذلك التنزيل الذى مر عليه حتى الآن أربعة عشر قرنا ولم تخلق جدته ، ولم تبل محاسنه ، ولم يأت العلم بما يتنافى مع مبادئه ، ذلك الدستور الذى جمع بين المعانى الروحية ، والقوانين العلمية ، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بما لم يستطع الفكر الإنسانى حتى اليوم ـ وقد كملت

مكتبتنا العربية

جميع وسائل البحث — أن يأتى بمثله ، فضلا عن أن يأتى بخير منه . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ذلك أنه جاء وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فوافاها بكل ما تحتاجه فى حياتها المادية والروحية ، العلمية والدينية .

وفى ظل هذه الحقيقة دعا هذا الدين الناس جميعاً إلى عبادته وتعاليمه : « يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » .

والناس صنفان : صنف يسهل إقناعه بالمناظرة والحجة ، فيعرف الحق ويقتنع به ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . يلحق به من قصر فهمه عن المناقشة وفهم الدليل فوافاه الإسلام بالمعجزة التى ظهرت على يد خاتم رسل الله ، فهى عند هذا فى مكان الدليل ، وقول الإله الحكيم : « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » ، وصنف مكابر معاند يلحق به غبى جاهل ، وهذا الصنف كالفرس الجموح لا يمكن ترويضه إلا باستعمال ما يناسبه من الشدة ، وما هى بشدة ، وإنما هى وسيلة الإصلاح والتقويم ، وقد ندب اليها الإسلام كوسيلة للإصلاح فقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

وقد أمكن لحرارة هذا الدين أن تصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المبعثرة ، وتكون من شتاتها جميعاً قوة واحدة ، وأمة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار فى زمن قصير ، مما يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعى إلى هذا الدين ؟

محمد أبو المطارم
الواعظ العام

مكتبتنا العربية

الاسراء والمعـــراج

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا
إنه هو السميع البصير »

خرج بنو هاشم من الشعب بعد حصار دام ثلاث سنين ، لقى المسلمون فيها أقسى ضروب المقاطعة ، وكانت قريش تظن أنها بهذه الأعمال توقف سير الدعوة المحمدية ، ولكن الرسول ﷺ لم يضعف أمام هذا العنت .

وبعد الحصار بقليل توفى عمه ، وكان عضده فى الملمات ، وسنده عند الأزمات ، وبعده توفيت خديجة الزوجة الوفية ، والتى كانت مصدر التسرية فى لحظات الحزن والأسى ، فأحس المصطفى لفقدهما حزناً عميقاً ، حتى سمى عام وفاتهما بعام الحزن ، وبينا هو فى هذه الحالة ، وقريش تمعن فى الإيذاء ، وتشتط فى الخصومة ، ظناً منها أن فقد هذين النصيرين سيكون من العوامل التى تجعله ﷺ يقعد قليلا عن النشاط فى دعوته ، ولكن الدعوة تسير قدما فى الذيوع والانتشار .

* * *

وفى صبيحة يوم مشرق النور جلس ﷺ فى حجر اسماعيل يقص قصصاً كان فى سمع قريش الجاحدة المنكرة خيالا بل حديث خرافة ، حتى أنهم لفرط دهشتهم ظنوا به الظنون ، وحسبوا أن خياله قد شط به ، فبقى أمامه جماعة يستعيدون حديثه خيفة أن يعدل عنه ، وجرى الباقون يتنادون فى الطرقات : تعالوا فاسمعوا لما يقول محمد ، اعتقادا أن هذا هو الخبل بعينه ، وما دروا أن الله جلت قدرته أحب عبده ورسوله ، فأكرمه وشرفه وفضله على سائر خلقه ، فجمع له الرسل المكرمين ، والملائكة المقربين ، فى بيت المقدس ليصلى بهم إماماً ، ويأخذ عليهم عهداً وميثاقاً بسموه وفضله وتقدمه وسبقه ، وقد أراه ربه وهو فى طريقه

مكتبتنا العربية

إلى المسجد الأقصى عجائب مخلوقاته الارضية ، وما أعده للمخالفين عن أمره ، والخارجين عن طاعته ، بارتكابهم للمنكرات ، وصور له عقوباتهم على ما اقترفوه .

وبعد الانتهاء من الصلاة أخذه جبريل وصعد به إلى السموات العلى ليريه آيات الله الكبرى فى الملكوت الأعلى ، ولا عجب فى ذلك ولا جناح فهو الرسول الأمين ، وهو الحبيب الأول : من خلق الكائنات من نوره ، وألهم الانبياء الصلاة عليه والتسبيح باسمه .

حتى إذا اكتمل جمعهم بهرهم صدقه ، وأفحمهم حسن حديثه ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكن عنادهم وإصرارهم على تكذيبه دعاهم إلى أن يستوصفوه بيت المقدس ، وهم موقنون أنه لم يره قبلا ، وأن الإسراء كان ليلا ، والليل يغطى المعالم ، إلا أن الرعاية الصمدانية تدركه فى شخص جبريل الأمين يحمل على كفه بيت المقدس ، ليكون الوصف هو الحقيقة الصارخة على صدقه ﷺ ، وأن أحد عيرهم صادفه فى الطريق فشرب من وكائه ، وأنه قادم يوم كذا فى غروب شمس يوم كذا ، فيقع ما حدث . وأن عيرهم الثانى سيقدم يوم كذا فى ساعة كذا ، وأن مقدمهم يحمل وسقين ، فيصدق ما أخبر به .

ولكن عتو المعاندين وفساد رأى المكابرين جعل قريشاً تتخذ من قصة الإسراء والمعراج باباً من أبواب شدة الإيذاء ، وقسوة الاضطهاد ، ومحاولة منع الرسول من نشر الدعوة المحمدية ، ولم يكن ذلك الإنكار لعقيدة يؤمنون بها من أن ما حدث به محمد ﷺ كذب ، بل هم موقنون كل اليقين أن الرسول صادق فى كل ما جاء به ، إلا أنه الحقد الدفين الذى ملك زمام قريش . كيف يؤتى محمد ذلك الخير العميم والشرف العظيم وحده ، وتذهب بنو هاشم وحدها بهذا العز الإلهى ، والسؤدد الربانى ، وتقف بقية قريش عطلا من كل شرف وعز .

* * *

هذه هى الحقيقة المدوية فى أعماق التاريخ ، فمحمد ﷺ أسرى به فى الليلة السابعة والعشرين من رجب إلى المسجد الأقصى بصريح القرآن ، بروحه وجسده ، وصلى بالرسل والأنبياء والملائكة حيث جمعهم مولاه للاحتفاء بحبيبه ، وأخذ البيعة له منهم بأنه خاتمهم وإمامهم فى الدين والدنيا .

مكتبتنا العربية

ثم نصب له المعراج ورقى به إلى ملكوت ربه يتلقاه رسول ويودعه رسول ، حتى سدرة المنتهى ، فانغمر فى أنوار ربه الصمدانية ، وتجلت له الحضرة الربانية بالعناية ، وسبح فى الأنوار القدسية ، وخاطبه مولاه فارضا عليه الصلاة .

وهذه الحقيقة لا ينكرها إلا من عميت بصيرته ، فران على قلبه جهل بمدى قدرة الخالق جل جلاله بعد تلك المخترعات الحديثة التى قربت البعيد ، بل وصلت فى السير إلى أبعد من حدود الصوت ، ومخترعات الذرة . هذه القدرة لا يعجزها الخرق والالتئام ، ولا أن يرجع إلى فراشه وهو لم يبرد بعد ، ولا طول المسافة ولا قصرها .

« ما كذب الفؤاد ما رأى » ، « ما زاغ البصر وما طغى » لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

* * *

ولقد كانت الإسراء والمعراج سبباً فى التعجيل باحتدام الخصومة بين الحق والباطل ، وأن الله لن يخذل عبده ، وأنه كتب للإسلام الخلود والانتصار فى كل ملحمة يكون فيها القرآن أحد طرفى الخصوم . والله متم نوره ولو كره الكافرون ؟

محمود محمد المدنى
المدرس بالأزهر

الصبر

أحسن بالواجد من وجده صبر يعيد النار فى زنده
ومن أبى فى الرزء غير الأسى كان بكاه منتهى جهده

أبو العلاء المعرى

مكتبتنا العربية

البهائيـة

الأساس الذى قامت عليه :

هى نحلة قامت على أساس أنه ليس لله وجود مطلق بأسمائه وصفاته التى وصف بها نفسه فى كتب أنبيائه — ولا سيما خاتمهم محمد ﷺ — بل إن وجوده تعالى مفتقر إلى مظاهر أمره الذين جاءوا — بزعمهم — ليبشروا بمظهره الأبهى الذى لقبوه ببهاء الله ، فبهاء الله هو الرب الذى بشرت به الديانات كلها ، وهو المشرع الأعلى الذى تنبأت بظهوره البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والإسلام ، وكل هذه الديانات وغيرها كانت - بزعمه وزعمهم - مقدمات لظهوره ، والبهاء هو مظهر صفات الله فهو المتصف بها من دون الله ، وهو مصدر أفعال الله ، فهو فاعلها من دون الله . وهو المعنىّ بالقيامة ، وبالساعة الكبرى ، وهو وجه الله ، وهو جمال الله البهىّ الأبهىّ ، وهو الموعود فى البشارات التى سبقت فى كل الأديان ، ولا إله إلا هو ، ولا قيامة إلا قيامه ، ولا آخرة إلا بدايته ، ولا دين إلا دينه . وكما أن الإسلام نسخ الديانات السابقة ، فالبهائية نسخت الإسلام ، وكل الأديان كانت ناقصة وبدائية ، وإنما جاءت لتكمل بدين البهاء الكامل . ومع ذلك فإن البهاء يتظاهر باحترام الأديان الأخرى ليقول لاتباعها إن دياناتكم جاءت لتبشر بقيامى !

الإرهاصات التى تقدمت البهائية :

والدين البهائى الجديد منبثق عن العقيدة الشيعية ، وقد تمخضت عنه بيئتها فى إيران ، وصنعه نفر من أذكياء أهلها .

وقد سبقته إرهاصات :

أولها دعوة رجل من شيعة العراق يدعى أحمد زين الدين الأحسائى (١١٥٧ — ١٢٤٣ هـ) ، وله أتباع إلى الآن يسمون (الشيخية) .

وتلاه داعية آخر من شيعة إيران يدعى كاظم الرشتى (١٢٠٩ - ١٢٥٩) وله تاريخ .

مكتبتنا العربية

ثم تأثر بهما وبتلاميذهما شاب عامى من تجار إيران اسمه على محمد الشيرازى (١٢٣٥ - ١٢٦٦ هـ).

إن هؤلاء الثلاثة وكثيرين غيرهم معهم كانوا طلائع البهائية والتجارب الأولى لظهورها ، وكانوا يرمون إلى غرض واحد هو إكمال الخطوة التالية التى كان يطمع فيها غلاة المنحرفين من ألف سنة ، وهى إعلان تغيير دين الإسلام فى عقائده وتشريعه وأنظمته وجميع أهدافه .

كان هذا الشخص الثالث (على محمد الشيرازى) فتى غراً يتدين تدين العوام ، ويغلو فى ذلك على طريقة الأعاجم ، ويستعيض فى تدينه عن العلم بدعوى الفهم . وكان يتردد على مجالس كاظم الرشتى فى أخريات أيامه ، فتعرف به — فى مجالس الرشتى — شيطان من شياطين الشيعة يدعى ملا حسين البشروئى . فلما هلك كاظم الرشتى سنة ١٢٥٩ هـ خطر ببال البشروئى أن يستغل سذاجة هذا الشاب وغروره وغلوه فى الدين ، فواصل الاجتماع به ، وأوهمه أنه يوشك أن يكون له شأن ، وأن هذا أوان « المنتظر » ، وقد يكون فى مقام « الباب » الذى يقوم بتبليغ الشيعة الإمامية عن المهدى . فإن تم ذلك له فإنه - أى البشروئى - يرجو أن يكون له « باب الباب » فيمده بكل ما يحتاج إليه من وسائل الجدل إذا قاومه المجتهدون والعلماء .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الباب والبابية :

وفى يوم ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ أعلن على محمد الشيرازى أنه « الباب » للمهدى المنتظر ، وكان على محمد الشيرازى يومئذ فى الخامسة والعشرين من عمره على ما ورد تفصيله فى كتابهم (الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية) المطبوع فى القاهرة سنة ١٣٤٣ (١٩٢٤) . ومعنى الباب فى الاصطلاح الشيعى : الشخص الذى يكون واسطة بين الشيعة الإمامية وإمامهم الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى الذى يقولون إنه ولد سنة ٢٥٥ هـ والذى غاب (الغيبة الصغرى) فى سرداب سامرا سنة ٢٦٠ وهو ابن ست سنين وتقوم عقيدتهم على أنه (المهدى) ، وهو الذى يسمونه (المنتظر) من مدة تزيد على أحد عشر قرنا ، وهم إذا ذكروه يدعون الله بأن يعجل فرجه ، وبذلك تكون (الرجعة) . ولهذا الموضوع تفصيل ليس هذا موضعه .

ولما كان من تقاليد الشيعة أن الشخص الممتاز الذى يكون واسطة بين المهدى الغائب وبين شيعته يسمى (الباب) فقد رأى هذا الشاب العامى المشتغل بالتجارة - وهو على محمد

مكتبتنا العربية

الشيرازى - أن يزعم لنفسه أنه هو (الباب) ، ثم ادعى بتسويل ملا حسين البشروئى وإيحائه أنه هو (المهدى) . وكان مجتهدو الشيعة وعلماؤهم يمتحنونه ويقترحون عليه كتابة تفسير لبعض السور - كسورة الكوثر ، وسورة العصر ، وسورة يوسف - فيكتب لهم فى ذلك خواطر سريعة يسبح بها فى عالم الخيال ، ويضمنها ما كان يسمعه من كاظم الرشتى وما يلقنه إياه ملا حسين البشروئى ، غير أنه يكتب ذلك بلغة سخيفة ملحونة ، فيزدادون نفوراً منه واستخفافا به وتحريضاً للحكومة عليه بما يرونه من جهله .

قال داعية البهائيين الأول فى مصر أبو الفضائل الجرفادقانى فى كتابه (الحجج البهية) الذى طبعه المحفل البهائى الروحانى المركزى بمصر سنة ١٣٤٣ (١٩٢٥) ص ١٢٧ وهو يتحدث عن (الباب) ويسمونه « النقطة الأولى » :

« وأما النقطة الأولى والمثال الأعلى للبشر بجمال (ربنا الأبهى) جل ذكره وعز اسمه ، فقام بالأمر وهو ابن خمس وعشرين سنة ... وكان قبل قيامه مشتغلا بالتجارة مع خاله ... فلما قام حضرته بإذن ربه الأبهى [١] ، وصدع بالأمر فى مكة المكرمة [٢] ... رجع إلى مدينة بوشهر [٣] ... ونزل على خاله ... وسافر إلى شيراز فوقع فى يد أعدائه ، وانقضت أيام دعوته التى تعد سبع سنوات تقريباً كلها فى الحجز والحبس والنفى ، إما فى بيته أو بيت الحكومة ، إلى أن نفى إلى أذربيجان [٤] » .

وعقب اقتناع الباب بدعوته سنة ١٢٦٠ بتسويل شيطانه ملا حسين البشروئى الذى قام له بوظيفة « باب الباب » استطاع باب الباب أن يجمع له ١٨ مرتداً من الذين استجابوا

---

(١) أستبعد جدا أن يكون لربهم الأبهى دخل فى شئون الباب أو توجيهه فى ذلك الوقت ، وإنما كان الموجه له هو باب الباب ملا حسين البشروئى . ولكن مؤلف (الحجج البهية) الذى ننقل عنه هذه الفقرات يريد أن يوهم البهائيين بأن ربهم كان - من وراء ستار - يوجه باب الباب فى رسم الخطط للباب ، وأنا أستبعد ذلك ، وليس هناك أى قرينة تدل عليه .

(٢) كان سفر الباب إلى الحج فى شوال سنة ١٢٦٠ مع خاله وملا محمد على البارفروشى الذى يسمونه (القدوس)

(٣) ثغر على ساحل الخليج الفارسى يقابل الكويت فى الشاطىء الغربى

(٤) وإنما نفته الحكومة الايرانية الى اذربيجان لأن أهلها حنفية ، وفيهم المناعة الدينية عن الانخداع بالباب ، لأنهم لا يؤمنون بالمهدوية فضلا عن البابية .

مكتبتنا العربية

قبل ذلك لأحمد زين الدين الأحسائى وكاظم الرشتى ، وأبلغوا الباب أنهم آمنوا به وصاروا أتباعاً له ، وصار يرمز لهم بكلمة (حى) لأن الحاء بحروف الجمل تدل على العدد ٨ والياء تدل على العدد ١٠ ، ووزعوهم فى أنحاء البلاد ليدعوا له [١] .

مؤتمر بدشت :

وفى سنة ١٢٦٤ - وكان الباب معتقلا فى (قلعة ماكو) قرر الشياطين الذين يسيّرون الباب ويتخذونه ذريعة لإكمال مهمة أحمد الأحسائى وكاظم الرشتى أن يجمعوا الدعاة الثمانية عشر الذين يرمزون لهم بكلمة « حى » ، وأن يحضروا معهم كل الذين استمالوهم وأدخلوهم فى هذه الدعوة ، وأن يعقدوا منهم مؤتمراً فى صحراء (بدشت) الواقعة على نهر (شاهرود) بين خراسان ومازندران ، وكان على رأس القائمين بهذا التدبير (باب الباب) وهو ملا حسين البشروئى ، وملا محمد على البارفروشى الذى يسمونه (القدوس) ، وأم سلمى خانم [٢] زرين تاج بنت ملا صالح القزوينى البرغانى التى يسمونها (قرة العين) ويلقبونها (الطاهرة) [٣] ، وميرزا حسين على المازندرانى الذى تلقب فيما بعد بلقب (بهاء الله) وصار (ربهم الأعلى) .

فهؤلاء الشياطين دعوا إلى عقد هذا المؤتمر ليقرروا فيه إعلان نسخ دين الإسلام ، وجعلوا الدعوة الظاهرة له التفكير فى مسألة اعتقال الباب والوسائل الممكنة لإخراجه ،

---

(١) يتساءل بعض الناس عن تمويل هذه الدعوة والانفاق على هؤلاء الدعاة الثمانية عشر فى تنقلاتهم ومعيشتهم ، ويرى بعضهم أن من وراء ذلك يدا أجنبية - انجليزية أو روسية - وأن تلك اليد الاجنبية هى التى أوجدت البابية والبهائية . وأنا أرى فى ذلك مبالغة ، فالاجنبى أعجز من أن يوجد مثل هذه التيارات الدينية ، ولكنه يستغلها بعد وجودها ، ويشجعها إذا رأى فى ذلك مصلحة له .

(٢) خانم تأنيث «خان» كما أن « بيكم » تأنيث « بك » . وخانم اصطلاح ايرانى انتقل الى الترك ومنهم الى مصر بلفظ « هانم » ، وبيكم اصطلاح هندى . فاليم فى الكلمتين للتأنيث .

(٣) فى خلال فتنة الباب فى ايران نفت الحكومة الايرانية بعض القائمين بهذه الفتنة وكان نصيب قرة العين هذه النفى الى بغداد ، ورأت الدولة العثمانية أن يكون اعتقالها فى منزل الشهاب الالوسى صاحب التفسير وتحت نظره ، وقد تحدث عنها الشهاب الالوسى فى كتابه (نهج السلامة فى مباحث الامامة) وهو آخر ما ألفه وكتب منه وهو مريض عشرين كراسة ثم عاجلته المنية قبل أن يتمه . وبعض ماقاله فى هذا الكتاب عن قرة العين والباب والبابية أثبته حفيده السيد محمود شكرى الالوسى فى أوائل مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢ - ٢٥

مكتبتنا العربية

قال مؤرخ البهائية ميرزا عبد الحسين آواره فى ص ٢١٨ — ٢٢٣ من كتابه (الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية) :

« لما تم عقد اجتماع الاحباء فى (بدشت) شرعوا فى البحث ، وكانت مجالسهم منقسمة إلى طبقتين : الطبقة الاولى المجالس الخاصة ، وهى التى تعقد بكبراء الاصحاب وعظائهم ، والطبقة الثانية المجالس العامة ، وهى التى تعقد بمن سواهم . أما المجالس الخاصة فكانت المذاكرات التى تجرى بين خواص الأحباء وأكابرهم فيها تدور حول (تغيير الفروع ، وتجديد الشريعة) وبعد أن أقر الرأى العام على وجوب السعى فى تخليص حضرة الباب وإنقاذه ، قرر أيضاً إرسال المبلغين (أى الدعاة المبشرين) إلى النواحى والاكناف ليحثوا الاحباء على زيارة الحضرة (أى الباب) فى ماكو (القلعة المعتقل فيها) مستصحبين معهم من يتسنى استصحابه من ذوى قرباهم وودهم ، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم ماكو ، حتى إذا تم منهم العدد الكافى طلبوا من محمد شاه الإفراج عن حضرة الباب ، فإذا لبى الشاه طلبهم فبها ونعمت ، وإلا أنقذوا الحضرة (أى الباب) بصارم القوة وحد الاقتدار .

« وبعد أن تم تقرير هذه الأمور ، وتقبلها وعرفها الجمهور ... دار البحث حول الاحكام الفرعية (أى الصلاة والصوم والحج) من حيث التبديل وعدمه . وتبين بعد المذاكرات الطويلة التى دارت فى المجالس الخاصة بين أكابر الاحباء أن أكثرهم يعتقد بوجوب (النسخ) و (التجديد) ، ويرى أن من قوانين الحكمة الإلهية فى التشريع الدينى أن يكون (الظهور) اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه ، وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه ، فعلى هذا القياس يكون حضرة (الباب) أعظم مقاما وآثارا من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبله ، ويثبت أن له (الخيار المطلق) فى تغيير الأحكام وتبديلها ، وذهب قلائل إلى عدم جواز (التصرف) فى الشريعة الإسلامية ، مستندين إلى أن حضرة الباب ليس إلا مروجاً لها ومصلحاً لاحكامها مما دخل عليها من البدعة والفساد [1] .

وكانت قرة العين من القسم الأول وهم المعظم ، لذا أصرت على وجوب إفهام جميع الاحباء وإشعارهم بأن للقائم مقام المشرع حق التشريع ، وعلى وجوب الشروع فعلا فى

---

(١) كأن الذى هم فيه واجتمعوا له فى هذا المؤتمر ليس أخبث البدع وأفسد الفساد !

مكتبتنا العربية

إجراء بعض التغييرات كإفطار رمضان ونحوه . وأما القدوس فإنه وإن كان على هذا الرأى إلا أنه كان متمسكا [١] بالعادات الإسلامية [٢] ، فصعب عليه تركها [٣] . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى خشى إحجام (الجماعة) عن الموافقة ، ووقوع الخلاف والشقاق بينهم . ولكن الطاهرة كانت مصرة على رأيها [٤] وكثيرا ما كانت تقول : « إن هذا العمل سيبرز إلى ساحة الوجود لا محالة ، وسيطرق هذا القول آذان العام والخاص، وإذن فكلما أسرعنا فى الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر وللعمل الذى سنقوم به ، حتى ينفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد ، ولا يبقى معنا إلا كل قوى مخلص يفدى بنفسه هذا السبيل القويم البديع » . وجاءت قرة العين ذات يوم فطرحت هذا الاقتراح الآتى على بساط البحث بين جماعة الأصحاب وقالت : إن ارتداد النساء فى الشريعة الإسلامية لا يستوجب حد القتل ، بل يستلزم بذل النصائح اللازمة لهن واستتابتهن وتفهيمهن ما يرجع بهن إلى ورد التوبة والإيمان . فلا يتعسر علىّ إذن أن أميط اللثام وأرفع الستار عن أسرار هذه المسائل حين غياب القدوس عن باحة المجلس، حتى إذا وقعت تصريحاتى موقع القبول وصادفت محل الاستحسان من الأحباب تم المرام وبلغنا الغاية ، وإلا فعلى القدوس أن يباشر نصحى لأعود عن هذا الجنون ، وأنفض اليد من الكفر ، وأتوب وأرجع إلى أحضان الإسلام [٥] ، فاستحسن الأصحاب هذا المقترح [٦] ، ولبثوا يتحينون سانح الفرص إلى أن ألم بحضرة بهاء الله زكام ، وتمارض القدوس، فعند ذلك شرعت الطاهرة فى تفهيم الأحباء حقيقة المقصود ، وكشفت السر المكنون من تبديل الفروع وتغيير الأحكام . فلما رنت فى آذان الجميع هذه التصريحات دار التهامس والتناجى بينهم ، ففريق أعجب بأفكارها ، وآخر أخذ بأطراف انتقادها ،

(١) أى كذبا وتقية (٢) والعجيب أن يسموا الصلاة والصوم عادات .

(٣) لأنه لايزال محتاجا إليها فى إنجاح تمثيل دوره الشيطانى .

(٤) الذى كانت تستوحيه من رفقائها المتظاهرين بالتعقل والتأنى .

(٥) نفاقا واستهزاء وفجورا .

(٦) لأنهم هم أصحابه ومرتبوه وملقنوه لهذه الممثلة ، ليخادعوا بها وبدورها التمثيلى هؤلاء العوام الذين ضموهم إلى صفوفهم بالخديعة والأساليب التبشيرية .

مكتبتنا العربية

وذهبوا إلى القدوس يرفعون شكواهم منها إليه [١] . فهدأ القدوس هياجهم ولطف من ثورتهم بلسان اللين والملاطفة ، وأرجأ الحكم الفاصل فى القضية إلى حين ملاقاتها واستطلاع الحقيقة منها ، ولما أن وقعت الملاقاة والمقابلة بينهما تباحثا مليا وقررا أخيرا أن يعودا إلى الاجتماع والبحث مرة أخرى . وقالت الطاهرة إنها ستلزمه الحجة وتقيم عليه البرهان القاطع ، وفى الميعاد المضروب اجتمعا وتحقق ما وعدت به الطاهرة من الإقناع والإلزام ، ولكن بالرغم من ذلك لم تهمد الضوضاء ، وما سكنت دمدمة الصاخبين الناقدين لرأى الطاهرة ، حتى كان من بعضهم أن جمع أمتعته وتنامى عنهم ولم يرجع إليهم .

« وفى أخريات الأمر تدخل حضرة بهاء الله فى المسألة وأبرز من أساليب الحكم ولطائف الحزم ما هدأ به روع الجميع ، وذلك أنه طلب إحضار المصحف الشريف ، فأحضر إليه أمام الجمع كله ، ففتحه وتلا سورة (الواقعة) وأخذ فى تفسيرها وتأويلها وأفاض فى شرحها وبيانها (أى بما يوافق اقتراح تغيير دين الإسلام) وأن القرآن نفسه أشار إلى ذلك وأنبأ بوقوعه حتى اطمأنت قلوب الجميع [٢] وعلموا بأنه لا بد من « وقوع هذه الواقعات ، وحدوث هذه الحادثات كلها .

« وفى خاتمة المجلس تقرر تحرير هذه المسألة ورفعها إلى حضرة الباب فى ماكو والتماس إصدار الحكم الفاصل الجازم منه فيها ، وهذا ما قد كان . ومما علم فيما بعد وتبين أن خواصّ الأحياء كانوا على حق ، وأن رأى حضرة بهاء الله كان متفقا مع حكم حضرة الباب على (وجوب تغيير الشريعة) وأن القدوس وباب الباب والطاهرة كانوا أيضا قائمين على سواء السبيل وجادة اليقين فى إدراكهم وفهمهم (أسرار الأمر) .

« أما الذين ضاقت صدورهم ولم تتسع لقبول هذا التجديد العظيم فإنهم قاموا بتشويش الأفكار وإفساد الناس على زمرة الأحياء ، ونجم عن ذلك ما نجم من إغارة عصابة من المسلمين عليهم واعتدائهم بالضرب والسلب وطردهم من الجهة . فتفرق عند ذلك جمع الأحياء

---

(١) والقدوس أخبث منها وأسبق اقتناعا بما هم مقدمون عليه ، بل هو أحد الذين لقنوها الاقتراح ، ورسموا هذا التدبير الخبيث للكيد للاسلام وإعلان الردة عنه وكلهم يمثلون أدوارا تواطأوا عليها من قبل .

(٢) لان القوم كانت لا تزال فى قلوبهم بقية من الاسلام انسحبوا ، وبقى الابالسة والمنقادون لهم

مكتبتنا العربية

إلى ثلاث فرق : ففرقة سارت بركاب حضرة بهاء الله متجهة إلى طهران ، وأخرى ذهبت مع القدوس والطاهرة إلى مازندران ، وثالثة تحت لواء باب الباب وانتحت أولا سمت مازندران ثم ولجت آخراً ناحية خراسان ، ولكن الجميع أجمع العزم وعقد النية على تنفيذ ما تقرر فى (مؤتمر بدشت) هذا من التجمع ولم الشعث فى ماكو ، والعمل على إنفاذ حضرة الباب » . انتهى بالحرف من كتابهم (الكواكب الدرية) المطبوع فى القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) من ص ٢١٨ إلى ٢٢٣ .

المناظرات بين (الباب) وعلماء الشيعة :

وفى خلال اعتقال الباب أو تحديد محل إقامته كانت الحكومة الإيرانية تجمعه بعلماء الشيعة ومجتهديها فيناقشونه ويناظرونه على غير طائل ، وكان يكتب لهم كتابات حول الموضوعات التى يدور عليها الجدل . قال أكبر دعاة البهائية أبو الفضائل الجرفادقانى فى (الحجج البهية) صفحة ١٢٨ :

« ولعمرى لم يجدوا مغمزا فى آياته ، وشبهة فى كلماته ، إلا أنهم قالوا : فيها ما يخالف قواعد النحو والصرف ، ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة . وهو — جل ذكره — أخجمهم بما جاء مثله فى القرآن والسفر القديم [1] ، وقد أكملنا البحث فى هذا المقام فى كتاب (الفرائد [2]) مبسوطا مفصلا » .

وفى كتابهم (مقالة سائح فى البابية والبهائية) الذى طبعه محفلهم الروحانى بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤١ (١٩٢٢) صفحة ١٥ : « وبعد وروده (أى ورود الباب) على

---

(١) يريد الباب أن يقول : إذا كان فى آياتى ما يخالف النحو والصرف ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة ، فان فى آيات القرآن كذلك ما يخالف النحو والصرف ويخرجها عن ذلك ! وقد جهل الذين علموه هذا الجواب أن قواعد النحو والصرف استخرجت فيما بعد من لغة القرآن ومن لغة جرير والفرزدق وأمثالهما ممن يتعبد بالقرآن ، فالقرآن حجة على اللغة وشاهد عليها . كما أن جهل هذا الغر الأجوف حجة عليه وعلى الذين نفخوا فى أوداجه وشاهد على سخفهم وكفرهم .

[٢] كتاب [الفرائد] الجرفادقانى المذكور ألفه سنة ١٣١٥ باللغة الفارسية دفاعا عن البهائية وهو فى ٢٣١ صفحة وطبعوه بمطبعة أمين هندية بالقاهرة .

مكتبتنا العربية

تبريز بأيام عقدوا مجلسا ، وجاءوا بالباب إلى ذلك المجلس ، وحضره من العلماء الأعلام نظام العلماء ، وملا محمد مامقانى ، وإمام الجمعة ، وشيخ الإسلام على أصغر وبعض آخر من المجتهدين . وأخذ أعضاء المجلس يسألونه عن دعوته . فأجابهم بأنه (المهدى) . فعند ذلك عم الهياج ... وطالبوه بالبرهان . فتلا الآيات دون تأمل وقال : إن هذا برهان عظيم لبقائه إلى الأبد . فما كان جوابهم إلا الاعتراض على الكلام بأنه غير منطبق على القواعد النحوية . فاحتج عليهم بالقرآن وأتى منه بعدة شواهد لا تنطبق على تلك القواعد . وفى أثر ذلك تفرق المجلس ، ورجع الباب إلى مستقره . وكان حاكم أذربيجان فى ذلك العهد ولى العهد ، فلم يصدر منه أمر بشأن الباب » .

ثم قال فى صفحة ١٨ : « عندما وصلت دعوى المهدوية إلى مسامع فحول المجتهدين والعلماء المتبحرين قاموا على المنابر صارخين صائحين : إن من ضروريات الدين المبين [١] بل من أقوى دعائم المذهب الجعفرى (غيبوبة) الإمام المعصوم الثانى عشر عليه السلام (ثم ذكروا علامات ظهوره بحسب النصوص التى يتوارثونها وقالوا) : ما الذى جرى بجابلقا ، وأين ذهبت جابلصا [٢] ، وما معنى الغيبوبة الصغرى ، وماذا حدث للغيبوبة الكبرى ؟ وما معنى أقوال حسين بن روح [٣] ؟ وأين ذهبت مرويات ابن مهزيار ، وكيف تعمل بطيران النقباء والنجباء ، وإلى أين تذهب بفتوح الشرق والغرب ، وأين حمار الدجال ومتى ظهر السفيانى ؟ وأين العلائم المذكورة فى أحاديثنا ؟ فلا يخلو الحال : إما أن تنكر أحاديثنا وننبذ المذهب الجعفرى وبحسب النصوص الصريحة للإمام أضغاث أحلام ، وإما أن نقضى بتكفير هذا الشخص بل نعد محوه أعظم فريضة » .

---

[١] أى على مذهب الشيعة الامامية .

[٢] جابلقا وجابلصا [بضم الباء فيهما] مدينتان اخترعتهما عقول أهل الخيال فزعموا أن أولاهما فى طرف المشرق والأخرى فى طرف المغرب وأن لكل منهما ألف باب وعلى كل باب ألف حارس ، ولهما شأن فى علامات ظهور المهدى لانه وأولادا له ثلاثة يظهرون منهما !!! .

[٣] هو الحسين بن روح النوبختى المتوفى سنة ٣٢٦ ، وهو الباب الثالث للغائب . أما الباب الأول فقد كان محمد بن نصير (مؤسس النصيرية) يطمع فى أن يكون هو ، وأبى ذلك عليه زملاؤه وولوها عثمان بن سعيد ، وبعده ابنه محمد بن عثمان المتوفى سنة ٣٠٥ ، ثم النوبختى . والنوبختى أوصى بالبابية إلى الباب الرابع على بن محمد السمرى فكانت له السفارة إلى أن مات سنة ٣٢٩ وبموته وقعت الغيبة الكبرى فى اصطلاحهم .

مكتبتنا العربية

الحكم على (الباب) بالإعدام :

وحكم على (الباب) بالإعدام ، ونفذ الحكم فى تبريز يوم ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ فأخرجوا جثته إلى خارج المدينة ووضعوها على حافة الخندق [١] ثم تفقدوها فى اليوم التالى فلم يجدوها ، وقيل إن الوحوش أكلتها ، فاحتج مجتهدو الشيعة بذلك على فساد دعوى الباب بأنه هو المهدى لأن المقرر عندهم أن أجساد الأئمة الاثنى عشر محفوظة ومصونة عن السباع والحشرات ولا يعتريها البلى ، وأنهم أحياء بعد موتهم فأجسادهم لا تبلى . فإذا كانت جثة الباب قد أكلتها الوحوش فهذا دليل على كذبه فى دعوى المهدية . وقابلهم أتباع الباب بادعاء أنهم اختطفوا الجثة بالليل وأنهم وضعوها داخل صندوق فى مصنع رجل ميلانى ونقلوها من أذربيجان إلى جهة مجهولة [٢] .

استغلال البهاء تركة الباب وخلافته :

وزعم البهائية أيضاً فى كل كتبهم (ومنها مقالة سائح صفحة ٣٠) أن الباب لما علم بأنه سيعدم جمع مكتوباته وخاتمه ومقلمته فى جعبة ، وأرسلها مع مفتاحها بصحبة شخص اسمه ملا باقر ليسلمها إلى ملا عبد الكريم القزوينى فى مدينة قم ، فلما وصلت الجعبة إلى ملا عبد الكريم أعلن أنه مأمور بإيصالها إلى ميرزا حسين على المازندرانى (١٢٣٣ - ١٣٠٩) وبسبب ذلك انتحل حسين على المازندرانى اسم (بهاء الله) ونازع كبار البابيين مقام الرآسة عليهم ، وأكثرهم - بل كل المتخلفين منهم فى إيران - لم يسلموا له بذلك ، وظلوا على بابيتهم فلم يدخلوا فى البهائية . وحتى أخوه يحيى المازندرانى خالفه وادعى أنه أحق بالرآسة منه ، وانفصل عنه لما كانا منفيين فى (أدرنة) فلم ينتقل معه إلى عكا واختار أن يكون منفاه الجديد فى بلدة ماغوسة فى جزيرة قبرص . فلم يبال حسين على المازندرانى بكل ذلك وأصر على دعوى أن الباب كان (نقطة) وأنه (أى الباب) كمحمد وعيسى وموسى إنما جاء ليبشر بمجىء البهاء ، وهذه هى مهمة جميع الأنبياء ، فقد جاءوا ليبشروا بظهور الله فيه ، وأن الباب اشتق من كلمة (بهاء الله) ثلاثمائة وستين اشتقاقاً ، إلى غير ذلك من السخافات التى بنى عليها أساطيره .

وسنأتى على تفصيل ذلك فى المقال التالى إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

---

[١] هكذا تزعم البهائية توطئة لادعاءات أخرى كما سيجىء .

[٢] ولما ادعى البهاء وراثة الباب وانتقل إلى عكا سنة ١٢٨٥ جاء بجثة زعم أنها جثة الباب ودفنها على جبل الكرمل فى فلسطين بين حيفا وعكا .

مكتبتنا العربية

عمـــــر بن عبد العزيز

بين الجود والاقتصاد

— ١ —

قد يعجب المطالع فى سيرة الخليفة الخامس والإمام العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، حينما يرى أخباراً كثاراً تدل على جوده وكرمه وسخائه ، وأخباراً كثاراً تدل على اقتصاده وتقتيره وتشدده ؛ وربما عز على المطالع أن يهضم هذه الأخبار التى تبدو كالمتناقضة ، أو ربما عز عليه أن يعللها ويوفق بينها .

وربما تعجل فوصف الخليفة العادل بأنه من أصحاب الشخصية المزدوجة على النحو المعروف فى القصة المشهورة : « دكتور جيكل ومستر هايد » ، حيث نرى صاحبها رحيما غاية الرحمة حينا ، وقاسيا غاية القسوة حينا آخر .

ولكن المتتبع لسيرته المتمعن فى أخباره يستطيع أن يجمع بين هذه الأنباء فى نظام ، دون أن يجد خلالها تنافرا أو تناقضا ، ودون أن يجد فى شخصية عمر ازدواجا أو تعقدا : فهو قبل الخلافة كان مترفا متلافا ، سمحا جوادا ، يذيل ثيابه ، ويسرف فى عطره ، ويدخل فى طيبه القرنفل والعنبر بكثرة ، وتأتيه جبة الخز الغالية الثمن الرقيقة الحاشية الناعمة الملمس فيعدها خشنة ، ويتسع طعام داره حتى يقول : « لقد رأيتنى وكنا لو ضافنى أهل قرية لوجدت ما يعمهم » .

وكان أثناء ذلك — كما يحدث التاريخ — من أعطر الناس وألبسهم وأخيلهم فى مشيته ، يعرفه الناس برائحته الطيبة من بعيد ، ويتنافسون على غسل ثيابهم فى الماء الذى غسلت فيه ثيابه ، ويحاول الجوارى تقليده فى مشيته ذات الخيلاء ، ويجلب له التجار بدائع الثياب من هنا وهناك ...

وهو يفعل ذلك لأنه شاب ، ولأنه يملك ذات نفسه ولا يُسأل عن غيره ، ولأنه فى وسط ثرى غنى قادر ، فجده خليفة ، وعمه خليفة ، وزوجته بنت خليفة ، والمال من حوله كثير وفير ... وحسبك فى تبيان جوده وسخائه قـــوله : « ما أعطيت أحداً مالا

مكتبتنا العربية

إلا وأنا أستقله ، وإنى لأستحى من الله عز وجل أن أسأله الجنة لأخ من إخوانى وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لى : لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل » ! .

ثم نرى عمر بن عبد العزيز فى الخلافة ، فإذا هو يشدد على نفسه ، ويضيق فى أمر ذاته ، وإذا نحن نراه وقد طبق نظام الاقتصاد والتقتير على نفسه بعنف لامثيل له : لبس الصوف بعد الحرير ، واستلان الخشن من الصوف ، وقد كان قبل الخلافة يستخشن الناعم من الحرير ، وأكثر من أكل العدس حتى قال خادمه يوما متضايقا : « كل يوم عدس ؟ » . وأكل الثوم المسلوق بالزيت والملح ، ولبس المرقع البالى ، وصار عنده — وهو الخليفة — قميص واحد ، يتسخ فينزعه ليغسل وينتظره حتى يجف ؛ ويوقد الشمعة من بيت المال لينظر على ضوئها فى شئون المسلمين ، فإذا انتهى من ذلك وانتقل إلى شأنه أبى أن يستضئ بها وأطفأها ، وهزل هزالا شديدا حتى استبانت أضلاعه ، وقد كان من قبل سمينا تغيب حجزة إزاره فى طيات بطنه .

ويقول له بعض الناس : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعطاك ، فلو لبست ؟! . فيخفض رأسه مليا ثم يقول : « إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة » .

وإنما يفعل عمر ذلك ؛ لأنه قد صار خليفة على المسلمين ، وأصبح راعياً لهم مسئولا عنهم ، فانقضى ذلك الفراغ ، وذهبت تلك الحرية أو السعة فى الوقت والرغبة ، وولّى عهد الانطلاق فى رحاب الترف والدعة ، وأقبل عهد التبعة والواجب والاهتمام لأمر الأمة والسهر من أجل الرعية ... ولقد خبّ عمر رضى الله عنه وعب ، ولكل شىء نهاية ، وتطلعت عينه إلى الكثير من أمور الحياة فما استعصت عليه أمنية ، فلم يبق إلا التطلع إلى الخلود الدائم والمجد الصحيح ، إلى أداء الواجب وابتغاء رضوان الله .

ويترجم عمر عن ذلك التغيير فيقول : « كانت لى نفس تواقة ، فكنت لا أنال شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسى الغاية تاقت إلى الآخرة » ! ... والرجل المشتاق إلى الآخرة لا يهتم للدنيا ولا يحرص عليها ، بل يفر منها ويتباعد عنها ، ولو كان بالأمس مقبلا عليها آخذاً منها .

ولكن تشدد عمر على نفسه لم يتجاوزه إلى غيره ، فبينما نراه آخذاً نفسه وأسرته بكل شدة وقسوة ، فارضاً على بيته التقشف المثالى والزهد البالغ ، نراه يرفق بالرعية ويوسع لها

مكتبتنا العربية

ويحمل إليها حقوقها فى أمانة وإحسان ؛ وإذا كنا نراه فى بعض الأحيان يراجع أو يحاسب ، أو يعاقب على إسراف ، أو يلوم على إفراط ، أو يدعو إلى اعتدال ، فلم يكن ذلك بخلا ولا شحاً ، ولم يكن إعناتاً أو إرهاقا ، ولكنها شرعة القصد التى دعا إليها الإسلام فى الغنى والفقر ، وأسلوب العدل الذى حبب فيه عند الرضى والغضب ، وطريقة الاقتصاد التى يكثر بها القليل ويدوم الكثير .

ومن الخير أن نفرق هنا بين الاقتصاد والبخل ، فالاقتصاد حكمة وتدبير وتوفير ، والبخل كزازة وشح وتقتير ؛ والاقتصاد عدل وإنصاف ، والبخل ظلم واعتساف ؛ والاقتصاد توسط وإعداد ، والبخل كنز وسوء اعتقاد ؛ ويظهر الاقتصاد بصورة أوضح إذا لم يكن فى مالك ، بل فى مال غيرك ؛ لأن مال الغير لا يثير رغبة فى حفظه ، فإذا حافظت عليه مع ذلك ظهر الدليل على الحكمة والإخلاص ؛ ويظهر معنى الاقتصاد أكثر وضوحا من ذى قبل ، ويختفى معنى الشح حينئذ ، إذا كان المرء فى ماله كريماً جواداً ، وفى مال الناس مقتصداً مدبراً ، وكذلك كان عمر رضى الله عنه . وثمة شىء آخر . . . لو كان هذا الاقتصاد ظاهراً فى شأن عمر وحياته منذ نشأته لكان لظن الظانين به السوء مجال ، ولأمكن أن يقال إن هذا بخل أو ازدواج شخصية ، ولكن عمر كان كريماً معطاء قبل الخلافة ، وكان كريماً معطاء بعد الخلافة ، بل كان كريماً معطاء طيلة حياته ، وإذا كان قد تشدد فإنما تشدد على نفسه وأهله ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، وإذا كان قد حاسب على إسراف فذلك هو التأديب الواجب والحرص على مال الله ومال المسلمين ، وإذا كان قد دعا إلى تدبير أو اقتصاد فإنما هو حسن الرعاية ودقة الولاية ، وليس المسئول عن نفسه كالمسئول عن الأمة بأسرها ، وقديماً صور جده الفاروق عظم هذه التبعة حين قال : لو عثرت دابة على شط الفرات لخشيت أن أسأل عنها ، لم لم أمهد لها الطريق ؟ . . وحين اعتبر نفسه مسئولا عن الحبل يضيع فى الفلاة ! ! .

إذن لم يكن ابن عبد العزيز باخلا ولا شاحاً ، بل كان عادلا قاصدا ، والقصد هو استقامة الطريق — كما تقول العربية — ومنه الاقتصاد ، والاقتصاد المحمود ما كان بين طرفى الإفراط والتفريط : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

والاقتدار المعجب فى الشخص العظيم هو أن يجمع بين صفتين يراهما عامة الناس

مكتبتنا العربية

كالضدين ، ولكنه يحسن الجمع بينهما ، فيكون فى الأولى حميداً ، وفى الأخرى مجيداً ، وكذلك كان ابن عبد العزيز فى كرمه واقتصاده .

* * *

لقد كان عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — قبل توليه الخلافة مترفا معطاء ، لباسا معطارا ذا خيلاء ، ولكنه لما تولى أمر الناس التفت إلى الأمانة ونهض بالتبعة ، وانصرف عن الكثير من رغابه وطِلابه ، وأمسك عن الكثير من إنفاقه وبذله ، وما كادت مقاليد الخلافة تلقى فى يديه حتى أمر بالستور فهتكت ، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعها وإدخال ثمنها بيت المال .

وقال لزوجته بنت عبد الملك بن مروان — وكان عندها جواهر لم ير الناس مثلها ، أخذتها من أبويها — : اختارى ، إما أن تردى حليك إلى بيت المال ، وإما أن تأذنى لى فى فراقك ، فإنى أكره أن أكون أنا وأنت فى بيت واحد . فقالت : بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لى . وردت كل ذلك إلى بيت المال .

ورد عمر جميع الهدايا التى قدمها الناس إلى الخليفة من قبل ، ومزق الكتب التى سجلت فيها أشياء من هذا القبيل ، وبدأ فى ذلك بنفسه وأهله . قال ابن أبى سبرة : « لما رد عمر المظالم قال : إنه لينبغى أن لا أبدأ بأول من نفسى ، فنظر إلى ما فى يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه ، حتى نظر إلى فص خاتم ، فقال : هذا مما كان الوليد أعطانيه مما جاء من أرض المغرب ؛ فخرج منه » .

ولما ذكروه بأولاده وما يحتاجون إليه قال : « أكلهم إلى الله » ، ورد جميع القطائع ، كما رد الطيب والدواب والحرس الذين كانوا مخصصين له ، وعمد إلى ما كان يجرى على أهل بيوت الخلفاء من أرزاق خاصة وعطايا جسيمة فقطعها كلها بلا استثناء . ولما جاءت عمته ترجوه أن يرد إليهم ما جاءهم عن طريق من سبقه أبى ، فقالت له : إنى رأيتهم يتكلمون ، وإنى أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيباً - كأنها تهدده بثورتهم عليه - فقال واثقاً : « كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره » .

مكتبتنا العربية

ووسطوا بعد ذلك ابنه عبد الملك قائلين له : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حرمنا ما فى يده : فأخبر عبد الملك أباه بذلك فقال : « قل لهم : إن أبى يقول لكم : إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » .

ولقد أقبل عمر خليفة فوجد الإسراف ضارباً أطنابه ، ووجد المظاهر تستبد بالامراء والسلاطين ، فيرهقون فيها أنفسهم ويرهقون الناس معهم ، ووجد العطايا للطالبين ، والهدايا للشعراء والمادحين ؛ ولا بد من يد ضابطة : تعدل وتقتصد ، فكانت تلك اليد يد عمر بن عبد العزيز ...

* * *

إذن هذا رجل قد قسا على نفسه أشد القسوة ، وأخذ أسرته وأقاربه بالعزم والحزم ، ولم يخش فى نهجه لومة لائم . ولم يبال أن يتعب نفسه ومن معه ومن بعده غاية التعب ، ما دام ذلك فى مرضاة الله .

فهل يكون ذلك الإصلاح والتشدد والصرامة مدعاة لكى يشتط أو يعنف أو يجحف ؟ هل يكون ذلك مدعاة لدخوله فى باب الكوازة والشح والبخل المضر بالناس المفضى إلى القبيح من الأمور ؟ أو هل يكون ذلك مدعاة إلى القول بأن عمر قد تغير فى سماحة نفسه وكرم عنصره ؟ ... أو هل يكون ذلك - على الأقل - مدعاة للقول بأنه صاحب « شخصية مزدوجة » ؟ ! ...

لا شىء من ذلك على الإطلاق فيما نرى ويرى كل منصف للحقيقة والتاريخ ؛ فعمر ابن عبد العزيز لا يزال الكريم الجواد ، ولا يزال الرفيق اللين ، ولا يزال سائراً على صراط العدالة والإنصاف . وإذا كان قد اشتد فى أمر نفسه وأمر أهله وذوى قرباه ، فذلك ليعطى القدوة للناس ، وليبعد الشبهة عن حماه ، وليحقق ما يريد من رضا الله وإيثار الآخرة ، وضرب المثل الصالح للحاكم الشفوق والإمام العادل .

لم يكن تدقيقه إبان الخلافة ناشئاً عن حرص طارىء بعد سماح وانبساط يد ، وكيف وهو الذى يعيب الحرص وينعاه على سواه ولو من ذوى قرباه ، فيروى مالك بن أنس أن

مكتبتنا العربية

عمر بن عبد العزيز قال لسليمان بن عبد الملك : « صحبت آباءك فما رأيت حرصاً يشبه حرصهم على الدنيا ، ماتوا وتركوها أقدر ما كانوا عليها » .

وإذا كان عمر قد قسا على نفسه وصدها عما كان معتاداً لها قبل خلافته ، فقد استبان كرمه ورأفته بجماعة المسلمين ، إذ يحدث ضمرة عن الوليد بن راشد فيقول : « زاد عمر الناس فى أعطياتهم عشرة عشرة ، العربى والمولى سواء » .

فهذه الزيادة السمحة هنا على المسلمين عربهم وموليهم ، مع ذلك التشديد البين هناك على نفسه وأهله ، مما ينادى بأن عمر لم يتغير فى سماحته وكرمه ، بل بقى على أريحيته وجوده ، وانضم إلى ذلك شعور عميق عنده بالتبعة التى ألقيت على عاتقه ، وإحساس قوى بتلك العقبة الكؤود التى لا يتخطاها المسلم إلى جنة ربه إلا بالصدق والإخلاص وحسن الجهاد : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

وها هو ذا عمر رضى الله عنه يمضى فى سنته الخيرة البارة ، فيواصل إعطاءه لمستحق الإعطاء من العاملين والفقهاء ، ونراه يكتب إلى واليه على حمص قائلا : « انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه ، من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابى هذا ، وإن خير البر عاجله ، والسلام عليك » .

رضوان الله على ابن عبد العزيز ؛ لقد صدق ، فخير الخير عاجله ، ولا يقول هذا إلا أريحى نبيل ، ولا يهدى إلى مثل ذلك الصنيع إلا كريم مطبوع ...

ويكتب إلى والى حمص أيضاً يحرضه على مساعدة العلماء ومعاونة القارئين والمحدثين حتى يتفرغوا لقراءتهم وعلمهم ، وحتى لا تشغلهم مطالب حياتهم عن رسالتهم ، فيقول له : « مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث » .

ولعل ذلك الصنيع من أقدم السنن المشكورة فى التاريخ ، التى تعمل على تهيئة الجو الصالح لطلاب العلم والمعرفة ...

مكتبتنا العربية

ولقد بعث عمر يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس في البدو ، وأجرى عليهما رزقا ، فقبل يزيد العطاء ورفضه الحارث ، فكتب عمر يقول : « إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً . وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد الأشعري » .

ومعنى هذا أن المال يعطى لمستحقه وعند الحاجة إليه ، فإذا أراد المرء أن يجعل عمله تطوعا لاقتداره على شئون حياته من جهة أخرى فبها ونعمت ، وكفى الله بيت مال المسلمين مئونة تذهب بلا غرض وطلب ! ؟

« يتبع »

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إمبراطور ألمانيا

لما زار بيت المقدس

كتب غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا كتابا تاريخه ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٨ إلى قريبه نقولا الثاني قيصر روسيا ، يصف له فيه شعوره عند زيارته مدينة القدس فقال :

« لما غادرت الأماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين ، وكنت أقول في نفسي : لو لم يكن لي دين عند وصولي إلى القدس لكنت قد اعتنقت حتما الدين الإسلامي » .

مكتبتنا العربية

نصرة الله لأوليائه

وتوفيقه لهم

— ٢ —

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها : وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » رواه البخارى

* * *

علمت فيما تقدم من شرح هذا الحديث من هم أولياء الله ، وما هو أحب شىء يتقرب به العبد إلى مولاه ، حتى يكون سمعه وبصره ويده الخ . هذه العبارات القدسية العالية التى عرفت ما فيها من التأويل القائم على التمثيل .

والآن نفى لك بموعدنا إياك أن نشرح لك سائر ما تضمنه هذا الحديث الكريم من فضل الله على عبده ، وعظيم إحسانه إلى وليه . فمن ذلك قوله تعالى فيه : « وإن سألنى لأعطينه » وأنت خبير بأن التعبير على هذه الطريقة التى لا ينص فيها على مسئول بعينه ، ولا على عطاء (معطى) بذاته إنما يأتى فى كلام العرب على أحد وجهين :

أما أولهما : فهو إرادة العموم على ما يقتضيه المقام فى المسئول والعطاء . وتأويله على ذلك : وإن سألنى شيئاً لأعطينه سؤله أو خيراً منه . وفى ذلك يقول العلماء : إن الإجابة تتنوع ، فتارة يقع المطلوب ناجزاً بعينه ، وتارة يتأخر لحكمة ، وتارة تقع الإجابة لكن بغير المطلوب ، حيث لا تكون فى المطلوب مصلحة ناجزة ، وفى الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها . ولا عجب فى هذا التنويع الذى ذكروه ، فإنما هو من خيرة الله لعبده . وحسن تدبيره لأمره ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى

مكتبتنا العربية

أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وقد صرح بتنويع الإجابة فيما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم . فقال رجل من القوم : إذن نكثر ؟ قال : الله أكثر - أى إجابة - رواه الترمذى . وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم من رواية أبى سعيد وزاد فيه ، أو يدخر له من الأجر مثلها » .

وأما الوجه الثانى : فهو أن يكون المراد على إثبات أصل الفعل بقطع النظر عما يتعدى إليه . ونظيره قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » أى من يحدث لهم العلم ومن لا يحدث لهم . وعليه يكون التأويل : وإن كان من عبدى سؤال ليكونن منى إعطاء ، إشارة إلى أن مطلق سؤال العبد لمولاه عند الله بمكان ، وأن كون الإجابة من الوهاب الكريم لا تكون إلا على مقتضى هذا الإسناد العظيم . ولا عجب فى أن تنصرف العناية والاهتمام على هذا الوجه إلى السؤال فى ذاته ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم » وفى الحديث « الدعاء هو العبادة » . ولا عجب كذلك أن تنصرف العناية إلى الإعطاء فى ذاته اكتفاء بإسناده إلى المعطى ، فالعرب تقول : « خير من الخير معطيه » .

* * *

أما قوله تعالى فى هذا الحديث . « ولئن استعاذنى لأعيذنه » ومعناه : ولئن طلب منى عياذى . ومنعى إياه مما يخاف . فالوجه فيه هو الأول : وهو إرادة التعميم ، لكن على ما يقتضيه مقام الاستعاذة من التعيين لا التنويع ، إذ ليس سواء مقام الرغبة والاختيار ، ومقام الرهبة والاضطرار .

هذا - ولا قيد للإجابة فى السؤال والاستعاذة إلا من حال العبد نفسه . وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » . ولهذا روى عن عمر رضى الله عنه أن الهمة إنما هى فى السؤال ، أما الإجابة فقد تكفل الله بها . فما ذهب إليه بعض العلماء من تقييد كل ما ورد من آيات الإجابة على الإطلاق بقيد المشيئة حملا للمطلق على المقيد الذى هو قوله تعالى : « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون

مكتبتنا العربية

إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ، لا يصح ، لأن ذلك إنما يكون عند اتحاد جهة الخطاب ، والآية إنما هى خطاب للمشركين لا للمؤمنين فضلا عن أولياء الله المتقين ، وإن كان للإجابة والإعاذة مراتب بمقدار ما بين الفريقين من المراتب .

ويصف ذلك ابن القيم رحمه الله حين يتعرض لمراتب تجريد التوحيد فى تفسيره « للمعوذتين » ، قال : فإن كمل إيمانه أى العبد كان دفع الله عنه أتم دفع ، وإن مزج مزج له ، وإن كان مرة ومرة فاقه له مرة ومرة كما قال بعض السلف : من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة ، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة . وحسبنا فى الرد على ما ذهب إليه بعض العلماء من إطلاق التقييد ما ورد فى الحديث من أن الله يستحى أن يرد يد عبده صفراً - أى خالية .

وكون التعميم فى الإعاذة على التعيين لا التنويع هو أشرف مقامات الامتنان بقوله تعالى : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » ويشير إليه ما ورد فى دعاء العباس رضى الله عنه الذى سقى به أهل الرمادة حتى طفق الناس يمسحون أركانه [نواحيه وجوانبه] ويقولون : هنيئاً لك ساقى الحرمين . اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ، ولم تكشفه إلا بتوبة ، اللهم إليك جوع كل جائع ، وعرى كل عار ، وخوف كل خائف ، وضعف كل ضعيف .

* * *

وأما قوله تعالى فى هذا الحديث : « وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن : يكره الموت وأنا أكره مساءته » ومعناه : وما ترددت عن فعل شىء كترددى عن قبض نفس المؤمن — أى روحه — والمساءة كناية عن الموت أو الفتن والمحن التى لو مد فى أجله لأدركته . فهو من قبيل التمثيل أو المجاز فى الإسناد . وإليك أظهر ما قاله العلماء فيه :

قال الخطابى : التردد فى حق الله غير جائز ، والبداء عليه فى الأمور غير سائغ . لكن له تأويلان :

أحدهما : أن العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من داء يصيبه ، أو فاقة تنزل به ، فيدعو الله فيشفيه منها ، ويدفع عنه مكروهها . فيكون ذلك من فعله كترددد

مكتبتنا العربية

من يريد أمراً ثم يبدو له فيتركه ويعرض عنه . ويشهد لتأويله هذا إذا تأملته قوله تعالى : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب » وحديث : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه » على أن الأثر هو العمر . ويروى - فى عمره - بدل فى أثره .

والثانى : أن يكون معناه : ما رددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترديدى إياهم فى نفس المؤمن أى قبضها . كما روى فى قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت ، وتردده إليه مرة بعد أخرى . وعلى تأويله هذا يكون إسناد التردد الذى هو فعل الملائكة إلى الله تعالى إسناداً مجازياً لأنهم بأمره يترددون . . ولهذين التأويلين الشريفين عندى وجهان آخران :

أحدهما : تصوير تأخير قبض روح المؤمن كلما أدركته أسباب الفناء والاضمحلال إلى أن يصل فى عمل الصالحات إلى المنزلة التى يرضاها الله له بتردد المتردد بين الأمرين ، أو تصوير نظر الله تعالى إلى ماهو الأفضل لعبده من حيث حسن الختام من تعجيل الموت أو تأخيره ، وإنفاذه ما هو الأرجح له منهما ، بتردد المتردد بين الأمرين ليأخذ بأفضلهما .

وثانيهما : أن يكون المعنى على ترديد الرسل حتى يقع الموت من نفس الولى موقع الرضا حين يكشف عن بصره فيرى منزله من الجنة كما هو شأن المحتضر من المؤمنين . وبذلك قيل فى تفسير بشرى الأولياء فى الحياة الدنيا فى قوله تعالى : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » . أو حين تبشره ملائكة الرحمة ببشائر منها دخول الجنة . وقد جاء فى تفسير قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » أن معناها « لا تخافوا » من الموت أو مما تقدمون عليه من أمر الآخرة أو من ذنوبكم « ولا تحزنوا » فالله يغفرها لكم أو « ولا تحزنوا » على ما خلفتم من أهل وولد ، فالله يخلفكم فى ذلك كله ؛ وحسبهم قول الملائكة لهم بعد ذلك فى مقام التعليل والتبيين : « نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

وهذا الوجه أولى من الاستشهاد بقصة موسى عليه السلام ، لأنها خاصة لا عامة لجميع المؤمنين ؟

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

أسرار الشريعة الاسلامية

فى تقدير أنصبة الزكاة وسائر الصفقات الشرعية

قال النبى ﷺ : « منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها[1] ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، عدتم من حيث بدأتم » والحديث من باب الإخبار بالغيب ، يعنى أن هؤلاء سيمنعون إخراج الزكاة والصدقات بدليل باقى الحديث « وعدتم من حيث بدأتم » أى تعودون ، فهو بمعنى الحديث « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ » .

إلا أن لذلك الحديث دلالة أخرى على ما ننشده ، فقد ذكر لكل بلد مقادير عرفها وما اصطلحت عليه لنفسها ، فهو إقرار منه ﷺ لكل بلد على « نقودها وأوزانها وأكيالها » إذ أن وزن دينار الشام لم يكن مساوياً لوزن دينار مصر وهكذا وإن اتفقت الأسماء .

وهنا التساؤل : — هل يكون هذا إقراراً من الشرع لعرف كل بلد فى تقدير أوزانهم وأكيالهم ونقودهم مطلقاً حتى فى حقوق الله المعينة ، كتقدير أنصبة الزكاة والنفقات والديات وزكاة الفطر ... ؟

الجواب : — ليس هذا إقراراً للعرف فى كل ما يتعلق به هذا التقدير ...

فإن النبى ﷺ قال فى معرض تقدير حقوق الله المعينة : « المكيال مكيال أهل المدينة ، والميزان ميزان أهل مكة » يعنى ﷺ أن « مكيال أهل المدينة » هو المعتبر فى تقدير الحبوب والثمار فى نصاب الزكاة ومقادير النفقات الخ ، وأن « ميزان أهل مكة » هو المعتبر فى تقدير الذهب والفضة لهذه الصفقات الشرعية ...

ولذلك أجمع أهل العصر الأول فى الإسلام على أن الشريعة الإسلامية وإن أقرت عرف كل قوم استناداً إلى الحديث الأول « منعت العراق الخ » فى تقدير نقودهم وأوزانهم

---

(١) المدى بالياء مكيال شامى أكبر من الصاع الشرعى وهو الفرق غير المد الشرعى وسيأتى بيان الاثنين

مكتبتنا العربية

وأكيالهم ، إلا أن هذا الإقرار مخصوص بما يتعلق بحقوق الناس فقط من مبايعات ومبادلات دون حقوق الله المعينة ...

بمعنى أنه إذا اصطلح جماعة فيما بينهم على ميزان أو مكيال مخصوص ، وصار معروفا لكل بائع ومشتر من غير غبن لأحدهما صح التعامل به شرعا فيما يتعلق بحقوق الناس كاصطلاح أهل مصر الآن على مقادير (إردبها وقدحها وقنطارها ورطلها ودرهمها ، والجرام والكيلو جرام والليتر) .

إذ تتكفل ببيان هذه المقادير ، كتبها المدرسية للحساب والطبيعة والكيمياء ، كما تتكفل ببيان مقاييسها الطولية والحجمية ، كتب الرياضة والهندسة ، فهي معلومة لهم مشهورة فيما بينهم ، ولذا كان التعامل بها شرعيا صحيحاً فى كل ما يتعلق بحقوق الناس من مبايعات ومبادلات .

أما حقوق الله المعينة (كأنصبة الزكاة ومقادير النفقات والديات وزكاة الفطر) فلا يكفى فى تقديرها عرف كل قوم من أكيال وأوزان ونقود إذ أنه قد ورد فى تقديرها مقدرات وزنية وكيلية ونقدية على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم (كالدرهم والدينار والمثقال والأوقية والرطل والمن والمد والصاع والفَرَق ، بالفاء ، والعَرَق ، بالعين ، والوسق والقفيز إلى غير ذلك) وقد ثبت أن هذه كانت أسماء أنواع بل أجناس تحتها أنواع مختلفة المقادير والقيم عند العرب فلا يرفع الغبن فيها على إطلاقها عرف كل بلد . . .

ولذا أجمع العلماء على أنه لا بد من الرجوع فى تقدير ، نقود وأوزان أنصبة الزكاة ، إلى عرف أهل مكة حين فتحها الإسلام ، وفى تقدير أكيال هذه الأنصبة إلى عرف أهل المدينة أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . والحكمة فى ذلك أن أهل مكة كانوا أهل تجارة فهم أدرى بالنقود والأوزان ، وأن أهل المدينة كانوا أهل زراعة فهم أدرى بالأكيال .

وإذ مضى على هذه الأوزان والنقود والأكيال عهود طوال مختلفة الحكومات والحضارة تغيرت فيها وحدانها حتى لحق بها الإبهام والشك لجملة أسباب :

مكتبتنا العربية

« منها » عدم العناية بحفظ نماذج هذه الأوزان والنقود والأكيال حتى يرجع إليها فى الأجيال المقبلة كما تفعل الآن مصر وسائر الأمم المتحضرة .

و « منها » انزواء العلوم الآلية لإتقان صنع هذه المقدرات وفهم مدارك الأولين فى كيفية إنشائها وتقاسيمها كالرياضة والطبيعة والكيمياء فى بعض تلك العهود خصوصاً عند المسلمين لما داهمهم من حروب ودماء مع انتقال آثار هذه المقدرات من كنوز الشرق إلى متاحف الغرب .

و « منها » ورود أسماء هذه المقدرات على لسان الشرع مطلقة غير مقيدة بما يميزها إذ كانت العرب تطلق الألفاظ (درهم - مثقال - دينار - أوقية - مد - صاع - الخ) على أوزان ونقود وأكيال مختلفة المقدار والقيمة والاتساع اتكالا على ذكاء السامع أو المطلع كما كانت سجايا العرب حينئذ ، وأين سجايا المتأخرين من سجايا المتقدمين . . .

و « منها » استعمال بعض المؤلفين من المتأخرين كلمات (دانق — قيراط — حبة) فى تقدير هذه الصفقات الشرعية على إطلاقها ظنا منهم أن مقدار كل منها موحد معين ، والحقيقة أنه مشترك بين مقادير مختلفة إذ أن مقدار الدانق المصرى القديم أكبر من الدانق العبرى الأكبر من دانق عبد الملك الأكبر من الدانق الرومانى هكذا . والكل كان مستعملا فى التقدير عند العرب الأولين .

و « منها » استمرار الفقهاء والمؤلفين فى تقديرها بوحدة الحب من مادة القمح أو الشعير أو العدس وهى لا تحفظ وزنا ولا حجما دون الرجوع إلى « وحدة الماء الصافى » فكثرت أقوالهم وتشعبت آراؤهم فى مقاديرها .

ولذلك رأيت أن أرجع إلى أوزان ونقود وأكيال الأمم المجاورة للعرب كفارس ومصر والشام فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، وأن أتتبع ما حددته كل خلافة أو حكومة بالذات أو بالاستنتاج بعد خلافة أبى بكر إلى آخر عهد الأمويين وأوائل العباسيين ، خصوصاً ما اتفق عليه الأئمة الأربعة واستقر العمل عليه إلى الآن ، مستعينا فى جميع المراحل بروايات المحدثين والمؤرخين والفقهاء وعلماء الآثار ومحفوظات المتاحف

مكتبتنا العربية

مع العلم بأنه لم يثبت أن للعرب أى صنع أو إنشاء أو تغيير فى هذه الأوزان والنقود والاكيال إلا فى عهد المأمون .

وهذه جملة الأوزان والاكيال والنقود التى كانت مستعملة فى بلاد العرب زمن النبوة محولة إلى الجرام والليتر والرطل البغدادى المساوى (٤٠٨ جرام) .

أوزان ونقود استعملها أهل مكة وسائر العرب إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين

الوزن بالجرام	أنواع وصفات إجمالية
٣٢٩ر٨٤	رطل رومانى (ليبرا) يساوى (١٢) أوقية أو (٧٢) مثقالا أو (١٠٠) درهم
٢٨ر٣٢	أوقية رومانية للوزن والنقد تساوى (٤٠ درهما يمنيا خراسانيا) .
١٤ر١٦	أقدم مثقال وأصله مصرى ونقد فضة واستعمله العرب باسم (نش)
٨ر٥	نقد ذهبى فارسى استعمله العرب باسم (دينار) ثم انزوى بعد فتح مكة .
٥ر٦٦٤	درهم نقد ووزن رومانى وفارسى استعمله العرب باسم درهم بغلى كبير .
٤ر٧٢	مثقال وزن نيرونى ثم صكه قسطنطين ذهبا فسماه العرب (دينارا) .
٤ر٥٣	صنجة وزن قسطنطينى استعمله العرب باسم مثقال ولم يصك نقدا أبدا .
٤ر٢٥	درهم وزن ونقد ثم صكه نيرون ذهبا فسمى (بالدينار العربى) .
٣ر٧٧٦	درهم فضة فارسى ورومانى استعمله العرب باسم درهم بغلى صغير .
٣ر٥٤	أقدم وحدة وزنا ونقدا وأصله مصرى قديم وكان العرب تسميه (نواة) .
٣ر١٨٦	درهم خوارزمى وزنا ونقدا وهو جزء من ١٢٨ من الرطل البغدادى .
٣ر١٧١	درهم وزن وهو واحد من ($\frac{1}{128}$) من الرطل البغدادى ولم يصك نقدا .
٣ر١٤	درهم وزن نيرونى يسمى بالدرهم العربى ($\frac{1}{132}$ من الرطل البغدادى) .
٢ر٨٣٢	درهم نقد نيرونى باسم (ساليك) $\frac{1}{6}$ المثقال العربى اشتهر باسم (درهم عمر) .
٢ر٣٦	درهم وزن ونقد رومانى صكه هرقل ذهبا فسماه العرب هرقلا .
١ر٨٨٨	درهم نقد فضة رومانى وفارسى استعمله العرب باسم (الدرهم الطبرى) .
٠ر٧٠٨	أصله دانق وزن فرعونى وعبرى ورومانى ودرهم نقد يمنى خراسانى .

مكتبتنا العربية

أكيال رومانية للحبوب استعملها العرب جاهلية وإسلاميا ونسبة وزنها إلى الحمص ٧٩٪

أسماء الأكيال		وزن الحب			حجم الحب	
بالعربي	بالرطل العراقي	بالرطل المصري	بالكيلو جرام	بالسنتيمتر المكعب	بالقمح المصري
دن أو جريب	١٦ ويبة	٥١٢	٤٦٤,٦١	٢٠٨,٨٩٦	٢٦٤	١٢٨
وسقه	إردب	٢٢٠	٢٩٠,٤	١٢٠,٤٦	١٦٥	٨٠
إردب (قفيز)	أربع ويبات	١٢٨	١١٦,٦	٥٢,٢٢٤	٦٦	٣٢
عرق	ربع إردب	٨٠	٧٢,٦	٣٢,٦٤	٤١ ١/٤	٢٠
قفين	منفوضية	٦٤	٥٨,٠٨	٢٦,١١٢	٢٢	١٦
صاع هاشمي	ويبة	٣٢	٢٩,٠٤	١٢,٠٥٦	١٦ ١/٢	٨
قرية (رشامي)	هيكتة (مد)	١٦	١٤,٥٢	٦,٥٢٨	٨,٢٥	٤
مكوك (صاع أموي)	مكوك	٨	٧,٢٦	٣,٢٦٤	٤,١٢٥	٢
قسط أموي	هاربس	٤	٣,٦٢	١,٦٣٢	٢,٠٦٢٥	١
مد أموي	قرع (مد)	٢	١,٨١٥	٠,٨١٥	١,٠٣١٢٥	١/٢

أكيال عربية استعملها العرب خصوصا بالمدينة المنورة ونسبة وزنها إلى الحمص ٧٩٪

أسماء الأكيال		وزنه الحب بنسبة ٧٩٪			الحجم بالكيل المصري	
بالعربي	بالعربي	بالرطل العراقي	بالرطل المصري	بالكيلو جرام	بالسنتيمتر المكعب	بالقمح المصري
صاع مدني	ضعف كيثت	٥ ١/٢	٤,٨٤	٢,١٧٥	٢,٧٥	١ ١/٢
قسط مدني	كيلجة (كيثت)	٢ ٢/٢	٢,٤٢	١,٠٨٨	١,٣٧٥	١/٢
مد مدني	نصف كيثت (مد عربي)	١ ١/٢	١,٢١	٠,٥٤٤	٠,٦٨٧٥	١/٢

وسنبين ما اختير منها لتقدير الصدقات الشرعية في حياة الرسول ﷺ ثم زمن خلفائه الراشدين وما طرأ عليه تصغير أو تكبير في عهود أمير المؤمنين عمر والخليفتين معاوية وعبد الملك وما استقر عليه رأي الأئمة الأربعة واستمر إلى الآن. كل ذلك سنشرحه في فرصة أخرى، والله الموفق ؟

محمد أبو العلا البنا

مدرس الفلك بالأزهر

مكتبتنا العربية

غـــــزوة الخندق

مفاجأة الخندق ـ الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب

فى هذه الغزوة [1] ظهر سلاحان جديدان من أسلحة الحرب ، كان لهما أثرهما فى هزيمة قريش وحلفائها ...

قابل الرسول ﷺ المهاجين من قريش بسلاح لم يكونوا يعرفونه ولم يكونوا ينتظرونه ، ذلك هو الخندق الذى حفره حول المدينة ، فأسقط فى أيدى قريش من هول المفاجأة ، وخاب ظن عشرة آلاف رجل اجتمعوا من كل مكان يحدوهم أمل كبير فى القضاء على محمد ﷺ وعلى دينه .

وثمـــة سلاح آخر أصاب به الرسول مقتلا من قريش وحلفائها من اليهود ، لأنه استخدمه فى الوقت المناسب . فكان هذا دليلا على البراعة الفائقة من قائد جيش الإسلام فى اختيار السلاح المناسب لمقتضى الحال . ذلك هو سلاح الدعاية .

فبهذا السلاح أنقذ الرسول المسلمين من خطر كان محققاً ، ثمنع أمرا خطيراً لو تم لترتب عليه أسوأ النتائج للمسلمين ، فقد استطاع الرسول أن يوقع الفتنة بين قريش التى تواجهه ، والخندق يفصل بينها وبينه . وبين اليهود الذين كانوا خلفه ، وكان بينه وبينهم عهد فنقضوه نصرة لقريش ، وكادوا يتأهبون لطعنه من الخلف .

سلاحان جديدان حقق كل منهما أثره القوى فى أعداء المسلمين ، وكان كل منهما آية من آيات حسن القيادة .

---

(١) فى أواخر شوال سنة خمس من الهجرة .

مكتبتنا العربية

حذر ويقظة :

آن للمسلمين بعد هذه الانتصارات المتتابعة التى أعقبت أحداً أن يركنوا إلى حياة الهدوء والطمأنينة ، إلا أن هناك أموراً لم تكن لتفوت على النبي عليه الصلاة والسلام ، ولم تكن لتخفى عليه ، فقد قدر الموقف كما يفعل القادة العسكريون ، فانتهى إلى أن الأمر يقتضى كل الحذر واليقظة .

فهذه قريش وعلى رأسها أبو سفيان قد أصابها ما أصابها من ذل وهوان بعد انسحابها أمام المسلمين يوم الموعد (بدر الآخرة) ولم يكن تخاذلها عن القتال بسبب هزيمة عسكرية بل كان تفادياً للقتال فى عام جدب لا زرع فيه ولا ثمر ، فلابد إذن أن يكون اعتكافها إلى حين ، ولا بد أن يكون لغيابها حسد ، ولا شك فى أنها تتربص وتتحفز بما ركز فى غريزتها العربية من حرص على الثأر !

وهذه اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير قد أجليت عن موطنها ، وشتت شملها وذهب عنها استقرارها وخيرها ، هل يكون ذهابها إلى غير رجعة ؟

ثم إن اليهود يعلمون مبلغ عداوة قريش للمسلمين ، ومقدار مناهضتها للدعوة المحمدية ، فإذا هم عرضوا على قريش مساعدتهم لنضال محمد فلابد أن هذا العرض واجد منها قبولا وترحيباً .

وهذه عرب غطفان وعرب هذيل وسائر قبائل الجزيرة العربية بعد أن أصابها ما أصابها لا بد متحينة الفرصة للقضاء على محمد .

فكر الرسول صلى الله عليه وسلم - فى تقديره للموقف - فى هذا كله ، فاتخذ حياله ما تقتضيه القيادة الحكيمة من حذر دائم ، وحيطة لا يلين لها عود ، فبث العيون والأرصاد فى أنحاء الجزيرة العربية يوافونه بأخبار العرب فى الوقت المناسب الذى يمكنه من الاستعداد لرد العدوان .

مكتبتنا العربية

اليهود يؤلبون العرب :

ولقد كان الرسول الكريم فى اتخاذه سياسة الحذر على حق ، فقد كان يهود بنى النضير أول من أخرج بكرة تأليب العرب على النبى ﷺ إلى حيز التنفيذ ، فسار نفر من أكابرهم : من بينهم سلام بن مشكم ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وحيى بن أخطب ، وغيرهم ، حتى قدموا مكة على قريش ، فسأل أهلها حيياً عن قومه ، فقال : تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى تأتوهم فتسيروا معهم إلى محمد وأصحابه ، وسألوه عن بنى قريظة فقال : أقاموا بالمدينة مكراً بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم .

فقالت قريش لليهود : إنكم أهل الكتاب الأول وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

فقالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ! وأنتم أولى بالحق منه ، فشجع هذا القول قريشا ، ونشطت لما دعتهم اليهود إليه ، وبذلك جمع أبو سفيان أربعة آلاف رجل وثلاثمائة فرس ، وألفا وخمسمائة بعير لهذا الغرض .

وطفقت اليهود تحرض قبائل العرب على محمد ، فأتت غطفان من قيس بن عيلان ، وجعلت لهم تمر خيبر سنة كاملة إن هم نصروها ، فجمعوا رجالا كثيرين وألف بعير على رأسهم عيينة بن حصن الفزارى ، وجمع بنو سليم سبعمائة مقاتل على رأسهم سفيان ابن عبد شمس .

وخرج كل من أشجع وبنى مرة فى أربعمائة رجل ، يقود أشجع مسعر بن رخيلة ، ويقود بنى مرة الحارث بن عوف ، وكذلك خرج بنو سعد وبنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد ، وانضم إليهم كثير من قبائل العرب . وعلى الجملة فقد بلغت هذه القوات فى مجموعها نحو عشرة آلاف مقاتل ، يتزعمهم أبو سفيان ، وبدأت زحفها نحو المدينة .

خطة المسلمين:

كانت أنباء الأعداء تتوالى على النبى ﷺ من أعوانه الذين بثهم فى أنحاء الجزيرة ، فلما

مكتبتنا العربية

أيقن أنهم قد حشدوا له هذا الحشد الهائل، انظر فيمن حوله من المسلمين، فإذا هم ثلاثة آلاف، وتساءل: كيف يتسنى لهذا العدد الضئيل أن يقف أمام هذا الجيش العرمرم من المشركين؟ وكأنه تذكر غزوة أحد حيث كان المشركون ثلاثة آلاف وكان المسلمون ألفا وهزموا، والآن والمشركون عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف فالأمر واضح جلي.

وهكذا لم يكن بد من التحصن للدفاع عن المدينة، وكأنه تذكر قول عبد الله بن أبي (ابن سلول) في شأنها: —

«... إن مدينتنا يا رسول الله عذراء، ما فضت علينا قط، وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه، وما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا ...»

وقد كان التحصن بالمدينة للدفاع حلا تقتضيه الظروف، وترضى به قوانين الحرب، وتحتمه القيادة الرشيدة.

فالقائد الذي يدخل المعركة مجاز فا برجاله مؤمناً بقوة عدوه وتفوقه في العدد والعدة، لاشك مورد برجاله إلى الهلاك المحقق، وعليه وحده تبعة ما فعل.

مفاجأة الخندق:

ولم يكن التحصن المعتاد بالمدينة كافياً للتغلب على هذه القوة الهائلة، لولا أن وفق الله سلمان الفارسي إلى رأي عظيم:

كان سلمان يعرف من أساليب الحرب في بلاده ما لا تعرفه العرب في بلادها. فأشار على النبي ﷺ بحفر خندق حول المدينة.

فقبل الرسول المشورة فورا، وأمر المسلمين بالشروع في الحفر. وأرسل إلى بني قريظة، وهم يهود بينهم وبينه عهد وميثاق، فاستعار منهم أدوات الحفر من مساح (كواريك) وفؤوس ومكاتل (مقاطف).

الأخذ بالمشورة الصالحة:

وإن في قبول الرسول ﷺ مشورة سلمان لدليلا رائعا واضحا على حسن القيادة، يضاف إلى ما سبق أن أوردناه في هذه الناحية.

مكتبتنا العربية

فالأخذ بالمشورة الصالحة واقتباس ما عند الأمم الأخرى من وسائل الدفاع والحرب من آيات حسن القيادة ، وقد عمل الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه فى حفر الخندق ، وحمل التراب على ظهره الشريف .

وهكذا دان نفسه بما يدين به أصغر رجاله . وفى هذا العظمة فى أعلى درجاتها . ولقد كان لهذه المشاركة الفعلية أثرها فى نفوس المسلمين ، فرفعت روحهم المعنوية ، وضاعفت من إنتاجهم ، حتى لقد تم حفر الخندق فى ستة أيام ؟

(يتبع)

محمد جمال الدين محفوظ

كلمة لنابليون

عن قيادة الشرق الإسلامى

كان كرسى القيادة فى الشرق الإسلامى شاغراً منذ عهد أطول مما يظن الكثيرون منا . وقد انتبه إلى هذه الحقيقة نابليون بونابرت ، وأراد أن يملأ بنفسه هذا الفراغ ، فعاقه عنه دينه وقوميته . ويؤثر عنه فى ذلك قوله :

« الشرق الإسلامى كله فى انتظار رجل يتولاه ، ولو استتب لى أن أحالف الممالك ، لكنت الآن سلطان المشرق » .

مكتبتنا العربية

تشخيص الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

فى المسرح ، وعلى شاشة السينما

موضوعات البحث :

تمهيد — مقام الأنبياء — توقير الأنبياء — التفريق بين الرسل كفر — تنقيص الأنبياء جرم خطير ! — عتب الله لأنبيائه — شذرات من قصص الأنبياء — ما هو التمثيل ؟ — هل يمكن تمثيل الأنبياء ؟ — تشخيص الأنبياء تنقيص لهم — سد الذرائع . مفاسد تمثيل الأنبياء : أمثلة — خلاصة البحث — للفن ميدان فسيح — فى قصص الأنبياء كفاية — النتيجة ؟

حضرة صاحب الفضيلة ، الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد ـ فهذا حكم الإسلام فى « تشخيص الأنبياء فى المسرح ، وعلى شاشة السينما » نرفعه إلى فضيلتكم ، مؤيداً بما فتح الله به من الدليل التفصيلى ، أو المبدأ الشرعى العام ، الذى يستند إليه الحكم . والله نسأل أن يهدينا سبيل الرشاد ، إنه سميع مجيب .

تمهيد :

لابد لمن يبحث حكم الإسلام فى تشخيص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أن يتبين ـ أول ما يتبين ـ مقام الأنبياء فى الإسلام ، وحقوقهم على بنى الإنسان ، وأن يتعرف ما هو « التشخيص » ؟ وهل يمكن أن يتفق مع ما للأنبياء من مكانة ومنزلة ؟ وهل من الخير للإنسانية أو من الشر عليها ، أن يمثل فى مسارحها أنبياء الله وقصصهم ؟ وما نوع هذا القصص ؟ وما مبلغ هذا الخير أو الشر ، وما آثاره ونتائجه ؟

مكتبتنا العربية

لابد للباحث أن يبين هذا كله بياناً شافيا ، إذا أراد أن يكون حكم الإسلام فى هذا « التشخيص » واضحاً جلياً ... وذلك هو الذى نعرضه هنا فى ثوب الحقيقة مجردة خالصة « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

مقام الأنبياء

اصطفى الله من بين عباده أناساً صنعهم على عينه ، وأدبهم بأدبه ، فطهرهم من كل رذيلة ، وكملهم بكل فضيلة ؛ ثم جعلهم سفراءه إلى خلقه ، وأمناءه على وحيه ، يؤدون أمانته ، ويبلغون رسالته ، ويخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذنه « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

هؤلاء هم أنبياء الله ورسله ، مكانهم من الناس مكان الروح من الجسد ، والإنسان من العين ، وحاجة الناس إليهم أشد من حاجتهم إلى الماء ، والشمس والهواء ؛ لأن حياتهم بتلك الثلاثة عاجلة فانية ، وحياتهم بأنبياء الله ورسله دائمة باقية ، وشتان ما بين الحياتين .

تلك حقائق ثابتة ، أجمعت عليها الأديان الإلهية ، واتفقت عليها الشرائع السماوية ، واطمأنت إليها العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، لا يرتاب فيها إلا مخبول فى عقله ، أو مرتد عن دينه ، أو ملحد جاحد ، لا يؤمن بإله ، ولا يكترث بدين ، ولا يعترف برسالة .

توقير الأنبياء

على أساس تلك الحقائق الناصعة ، كان توقير الأنبياء ركنا من أركان الإيمان ، ودعامة من دعائم الأديان ، ليس واجباً مفروضاً من قبيل توقير الآباء والمعلمين فحسب ؛ من تركه كان عاقا آثما ، ولكنه أصل من أصول العقيدة ، من تركه أو تهاون به فهو بنص الكتاب العزيز وإجماع العلماء سلفا وخلفا ـ خارج من الملة ، كافر بالله ورسالاته ، فإن الله سبحانه كما بعثهم إلى الخلق ليدعوهم إلى الإيمان والهدى ، أمر الخلق بأن يوقروهم ويعظموهم وينزهوهم عن كل نقيصة أو ما يؤدى إلى نقيصة ، وحذرهم الحذر كله أن يغضوا من قدرهم ، أو أن يتكلموا فيهم إلا بالإجلال والتعظيم ، والصلاة والتسليم ...

وهل يتصور أن يأمرنا الله باتباعهم ، دون أن نعتقد ما أوجب لهم من عصمة ومهابة ومكانة ؟ !

مكتبتنا العربية

وإذا كانت حرمة الرسول مستمدة من حرمة مرسله ، فلا ريب أن من عظم أنبياء الله ورسله فقد عظم الله عز وجل ، وأن من انتهك حرماتهم أو غض من قدرهم ، فقد انتهك حرمة الله عز وجل ، وطعن فى اختياره ، واستحق غضبه ومقته ولعنته فى الدنيا والآخرة !

التفريق بين الرسل كفر

والمؤمنون لا يفرقون بين الله ورسله ، ولا يفرقون بين رسول ورسول ، بل يؤمنون بهم جميعا ، من قص الله علينا نبأهم ومن لم يقص ، ويوقرونهم جميعا ، ويعتقدون اعتقاداً لا تشوبه شائبة شك أن انتقاص واحد منهم إيذاء لهم أجمعين ، وأن إعظام أحدهم إعظام لهم أجمعين .

بهذا أدبهم الله ، وبهذا نزلت عليهم آيات الله ، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ، ، إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما ، ، إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما ، .

دلت هذه الآيات البينات على أن أنبياء الله كلهم إخوة ، بعثهم الله للناس مبشرين ومنذرين ، وشرع لهم من أصول الدين وقواعده ما وصاهم به جميعاً ... ثم أمر خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليهم - أن يهتدى بهديهم ، ويقتدى بهم ، فقال جل شأنه : ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، ، ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، .

ولا يضر اختلاف مناهج العبادات وأشكالها ، ما دامت أصول دينهم واحدة ... وفى اختلاف هذه الفروع والمناهج يقول الله تعالى : ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ويقول النبى - صلوات الله وسلامه عليه - فيما رواه البخارى ومسلم : ، أنا أولى الناس بعيسى

مكتبتنا العربية

ابن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، والإخوة لعلات هم أولاد الأب الواحد من أمهات متفرقة. يريد صلوات الله عليه بهذا الحديث الموجز الجامع أن أصلهم الذى بعثوا به إلى الخلق واحد، لا يختلف باختلاف العصور والأزمان، وإن اختلفت فيه الوصلة المؤدية، والأوعية الواعية، وهى المناهج.

وإنما كان نبينا أولى الناس بالمسيح عليهما صلوات الله وسلامه؛ لأنه أتبع الناس لشريعته، وأوفق لما جاء به، ولأن عيسى أقرب رسول بشر بمحمد، ومهد لقواعد ملته، ليس بينهما نبي.

لا عجب بعد هذا البيان أن يكون الغض من قدر واحد منهم غضاً لقدرهم جميعاً، وأن يكون إيذاء واحد منهم إيذاء لهم جميعاً، وكفى بذلك سبباً لسلب الإيمان، وإحباط الأعمال، وللعنة والعذاب. «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»، «يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون»، «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا».

تنقيص الأنبياء جرم خطير

على هذا التوقير الذى بينا، وعلى اعتقاد تنزيه الأنبياء من كل نقص خلق أو خُلق، وعلى وصفهم بكل كمال إنسانى - جرى سلف الأمة وخلفها، وأجمع العلماء إجماعا لا خلاف فيه أن من عاب نبياً، أو ألحق به نقصاً، أو عرض به تعريضاً يحط من قدره، فهو كافر مرتد مستوجب لغضب الله ومقته ولعنته فى الدنيا والآخرة.

ومن هذا التعريض الذى يستوجب الكفر واللعنة نسبة نبى من الأنبياء إلى رعى الغنم على سبيل «النكتة»، أو فى معرض المزاح والسخرية، مع أن الأنبياء جميعاً رعوا الغنم، تمريناً إلهياً وتمهيداً لسياسة الأمم، وقد روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة».

عتب الله لأنبيائه

ولا يغض من قدر الأنبياء عتب الله عليهم فى بعض تصرفات صدرت منهم، لم يروا

مكتبتنا العربية

بها بأساً ، ولكن الله يؤاخذهم بها لحكم إلهية بالغة ، منها : إشعارهم بأن هذه التصرفات لا تجمل بمراتبهم العلية ، وإن لم يؤاخذ بها غيرهم ولو كان من خواص الناس ، ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين . . ومنها : إعلامنا بأنهم بشر وإن بلغوا أعلى مراتب الإنسانية ، لا يعلمون الغيب ، وإلا لم يقعوا فى موجب هذا العتب .

ومن كان يظن أن إعراضه صلى الله عليه وسلم عن الأعمى الذى قطع حديثه وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام ، من كان يظن أن الإعراض أو العبوس فى هذه القصة يستوجب اللوم ، لولا أن الله أنزل فى ذلك قرآناً يتلى ؟ !

ومنها إشعارنا بأن هؤلاء المصطفين الأخيار لن يتعدوا مقام العبودية إلى مقام الألوهية ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » .

وهناك حكم وأسرار أخرى ليس هنا مكان تفصيلها .

شذرات من قصص الأنبياء

لا يتسع المقام هنا لعرض قصة واحدة من قصص الأنبياء كاملة ، فضلا عن قصص عدة . . وحسبنا هذه اللمحات السريعة مما ذكر الله فى كتابه ، لنتبين منها بعد أن نتعرف التشخيص ما هو ؟

هل يمكن تمثيل الأنبياء فى قصصهم الحق ؟

وإن أمكن فهل يتفق مع عظمة الأنبياء وجلالهم وما ينبغى لهم من قداسة ؟ !

ثم ماذا تكسب البشرية أو تخسر من هذا التمثيل على فرض إمكانه ؟

لقد قص الله تعالى من أنباء آدم أبى البشر عليه السلام : أكله هو وزوجه من الشجرة لما غرهما الشيطان ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ... » .

وقص علينا من أنباء نوح أبى البشر الثانى عليه السلام : صنع السفينة ، وسخرية قومه منه ،

مكتبتنا العربية

ونداءه ربه « رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق ... » . ورد الله عليه « يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ... » .

وقص علينا من أنباء يوسف الصديق عليه السلام : إلقاء إخوته إياه فى غيابة الجب ، ومراودة المرأة التى هو فى بيتها عن نفسه « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ... » . وأسف أبيه عليه ، وحزنه حتى ابيضت عيناه من الحزن !!

وقص علينا من أنباء موسى الكليم عليه السلام : مناجاة الله له وهو فوق الجبل ، وإلقاءه ألواح التوراة ، وأخذه برأس هارون أخيه يجره إليه « قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى . إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى » وقص علينا إغاثته الإسرائيلى ووكزه المصرى وقضاءه عليه ، كما قص علينا خروجه من المدينة خائفا يترقب ، ومصاهرته للشيخ الكبير على أن يكون أجيرا [يرعى غنمه] ثمانى سنين أو عشرا ؛ كما قص علينا كثيراً من إيذاء فرعون وملئه له واستهزائهم به ...

وقص علينا من أنباء داود عليه السلام نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب « إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط ... » ، وقد امتحن الله داود عليه السلام فى هذه القصة وعاتبه فيها اتركه الأفضل الذى يعاتب عليه مثله ؛ فإنه عليه السلام تعجل فحكم للمدعى قبل سؤال المدعى عليه ، ثم ندم على ذلك وإن لم يتجاوز الحق « فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » ، وقال بعض المفسرين : إنه عليه السلام ود أن يكون له من المال والخير ما لم يكن عنده ، فعاتبه الله لذلك ، لأن مثله — وقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب — لا ينبغى أن يتطلع إلى ما ليس عنده .

وللقصاصين فى هذه القصة مفتريات وأكاذيب لا تليق بعامة الناس فضلا عن خاصتهم ، فضلا عن عباد الله المصطفين الأخيار ... كما فى التفاسير لقصة يوسف تأويلات فاسدة بشأن مراودة المرأة له وامتناعه عنها .

هذه شذرات عاجلة من قصص الأنبياء سقناها لننظر كيف يكون تمثيلها بعد أن نعرف ما هو ...

مكتبتنا العربية

التمثيل

التمثيل فى المسرح : تشخيص الأفراد الذين تتألف منهم القصة أو الرواية التى يراد عرضها على النظارة تشخيصا يحكيها طبق أصلها الواقع أو المتخيل ، أو هو بعبارة موجزة ترجمة حية للقصة وأصحابها .

وقد تلتقط صورة الممثلين فى المسرح على شريط خاص يسمونه « الفلم » ليعرض على النظارة فى شاشة السينما .

هل يمكن تمثيل الأنبياء

لندع القصص المكذوب على أنبياء الله جانباً ، ولنفترض أن التمثيل لا يتناول إلا القصص الحق الذى قدمنا شذرات منه عاجلة ، ثم نتساءل : ـ

١ ـ كيف يمثل آدم أبو البشر وزوجه وهما يأكلان من الشجرة ؟ وما هى هذه الشجرة ؟ أهى شجرة الحنطة ؟ أم هى شجرة التين ؟ أم هى النخلة ؟ ... وعلى أى حال تمثلهما وقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ؟ وهل تمثل الله تعالى وقد ناداهما « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » ؟ أو نترك تمثيله تعالى وهو ركن فى الرواية ركين ؟! سبحانك سبحانك ! نعوذ بك من سخطك ونقمتك ومن هذا الكفر المبين !!!

٢ ـ وكيف يمثل موسى وهو يناجى ربه ؟ وكيف يمثل وقد وكز المصرى فقتله ؟ بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة ، ورماه فرعون بأنه مهين ، ولا يكاد يبين ؟ وكيف تمثل العقدة التى طلب من الله أن يحلها من لسانه ؟ وما مبلغ كفر النظارة والممثلين إذا أفلتت ـ ولا بد أن تفلت ـ منهم فلتة مضحكة أو هازئة حينما يتمثلون الرسولين وقد أخذ أحدهما برأس الآخر وجرّه إليه ؟ وما مبلغ التبديل والتغيير لخلق الله الفطرى ؛ ليطابق هذا الخلق الصناعى وقد عملت فيه أدوات الأصباغ والعلاج عملها ؟!!

٣ ـ وكيف يمثل يوسف الصديق وقد همت به امرأة العزيز وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ؟! وما تفسير الهم فى لغة الفن ؟!

٤ ـ وكيف يمثل أنبياء الله وأقوامهم يرمونهم بالسحر تارة ، وبالكهانة والجنون

مكتبتنا العربية

تارة أخرى ؟ ! بل كيف يمثلون حينما كانوا يرعون الغنم ، وما من نبي إلا رعاها ، ؟ ! بل كيف يمثلون وقد آذاهم المشركون ولم يسمح بعضهم أن يرمى القذر والنجس على خاتم النبيين وهو فى الصلاة والكفار يتضاحكون ؟ !

سيقول السفهاء من النظارة - وما أكثرهم - مقالة المستهزئين الكافرين من قبل : « أهذا الذى بعث الله رسولا » ؟ وسيغضب فريق لأنبياء الله ورسله فيقاتلون السفهاء وينتقمون منهم وتقوم المعارك الدينية لا محالة ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

تشخيص الأنبياء تنقيص لهم

لسنا بحاجة بعد هذا إلى بيان أن من قصص الأنبياء ما لا يستطاع تشخيصه ، وأن ما يستطاع تشخيصه من قصصهم فهو تنقيص لهم ، وزراية بهم ، وحط من مقامهم ، وانتهاك لحرماتهم وحرمات الله الذى اختارهم لرسالته ، واصطفاهم لدعوته ... لا ريب فى ذلك كله ولا جدال . .

وهذا كله فى القصص الحق الذى قصه الله علينا ورسوله ، وأما القصص الباطل وما أكثره - فهو زور على زور ، وكفر على كفر ، وهو البلاء والطامة ! ! !

وما نظن أن أحداً يستطيع أن يجادل فى هذه الحقائق الناصعة ... وأكبر علمنا أن أول من يخضع لها ويؤمن بها هم أهل الفن أنفسهم ؛ فإنهم أرهف حساً وأشد إدراكا لمقتضيات التمثيل وملابساته .

على أنا لو افترضنا محالا ، أو سلمنا جدلا بأن تمثيل الأنبياء لا نقيصة فيه ولا مهانة - فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم ، وتعريضهم للسخرية والمهانة . . فالنتيجة التى لا مناص منها ولا مفر : أن تشخيص الأنبياء تنقيص لهم أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة ! !

سد الذرائع

وسد الذرائع ركن من أركان الدين والسياسة .

فقد أجمع العلماء أخذاً من كتاب الله وبيان رسوله على أن من أعمال الناس وأقوالهم

مكتبتنا العربية

ما حرمه الله تعالى ؛ لأنه يشتمل على المفسدة من غير وساطة : كالغصب والقذف والقتل بغير حق ؛ وأن من الأعمال والأقوال ما حرمه الله سبحانه لأنه ذريعة إلى المفسدة ووسيلة إليها ، وإن لم يكن هو فى نفسه مشتملا على المفسدة ... ومن ذلك مناولة السكين لمن يسفك بها دماً معصوماً ، فالمناولة فى نفسها عارية عن المفسدة ، ولكنها وسيلة إليها ؛ ومن ذلك سب معبودات المشركين وهم يسمعون ، فهو فى نفسه جائز ، ولكنه منع لجرّه إلى مفسدة ، وهى إطلاق ألسنة المشركين بسب الله تعالى . ولهذا نهانا الله سبحانه عن هذا السب فقال : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » .

ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض ، هو نفسه جائز ، فقد فضل الله بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم درجات ، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصبية .. وقد تخاصم مسلم ويهودى فى العهد النبوى ، ولطم المسلم وجه اليهودى ؛ لأنه أقسم بالذى اصطفى موسى على العالمين ، وأقسم المسلم بالذى اصطفى محمداً على العالمين . فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين صلى الله وسلم عليهم أجمعين غضب حتى عرف الغضب فى وجهه ، وقال : لا تخيّرونى على موسى . ثم أثنى عليه بما هو أهله ، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله تعالى سداً لذريعة الفتن ، وحرصاً على وقارهم صلوات الله وسلامه عليهم ...

وإذا كانت الدول تشدد فى سد الذرائع وترى ذلك ركنا من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية : فإنه فى العقائد أخلق ، وفى مقام النبوة أوجب وأحق .

مفاسد تمثيل الأنبياء

ومفاسد تمثيل الأنبياء كثيرة ، نكتفى منها بهذه الأمثلة : —

١ — تشكيك المؤمنين فى عقائدهم وتبديد ما وقر فى نفوسهم من تمجيد هذه المثل العليا ؛ إذ أنهم قبل رؤية هذه المشاهد يؤمنون حقاً بعظمة الأنبياء ورسالتهم ، ويتمثلونهم حقاً فى أكمل مراتب الإنسانية وأرفع ذراها — إذا هم بعد العرض قد هانت فى نفوسهم تلك الشخصيات الكريمة ، وهبطت من أعلى درجاتها إلى منازل العامة والأخلاط . قد تقمصهم الممثلون فى صور وأشكال مصطنعة ، مما يتقلص معه ظل الدين والأخلاق !! .

٢ — إثارة الجدل والمناقشة والنقد والتعليق حول هذه الشخصيات الكريمة وتمثليها من أهل الفن والمسرح تارة ، ومن النظارة تارة أخرى ؛ وها نحن أولاء نرى صفحات للفن والمسرح ومجادلات فى التعليق والنقد ، وأنبياء الله ورسله مثل كلام الله عز وجل ، فوق النقد والتعليق .

مكتبتنا العربية

٣ — التهاب المشاعر ، وتحزب الطوائف ، ونشوب الخصام والقتال بين أهل الاديان ، كما وقع بين المسلم واليهودى فى العصر النبوى ، وما أحوجنا إلى الأمن والاستقرار وإطفاء الفتن وتسكينها ، لا إثارتها وإشعالها !

٤ — الكذب على الله ورسله ؛ لأن التمثيل أو التخييل ليسا إلا ترجمة للأحوال والاقوال والحركات والسكنات ، ومهما يكن فيهما من دقة وإتقان فلا مناص من زيادة أو نقصان ، وذلك يجر طوعاً أو كرهاً إلى الكذب والضلال . والكذب على الأنبياء كذب على الله تعالى ، وهو كفر وبهتان مبين ! والعياذ بالله !

هذه أمثلة يسيرة من مفاسد تمثيل الأنبياء . . فماذا تفيد الإنسانية من هذا التمثيل إلا الضلال والنكال ؟ ! !

وإذا كان الله جلت قدرته قد أعجز الشياطين عن أن يتشبهوا بالأنبياء توقيراً وإعظاما لهم عليهم الصلاة والسلام ، كما يدل على ذلك ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ؛ فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى » وسبق أن قلنا : إن الأنبياء إخوة يمس كل واحد منهم ما يمس أخاه ـ نقول : إذا كان الله سبحانه قد حال بين الشياطين وبين التمثل بالأنبياء ، مع أنه أعطاهم القدرة على التشكل كما يروون ، فكيف يستبيح الإنسان لنفسه أن يكون أخبث من الشيطان بتمثيل الأنبياء .

ثم ماذا يكون الشأن إذا اجترأ إنسان على التمثل بالنبى محمد أو غيره واهتاج الناس وأثار ذلك شعورهم استياء من الجرأة على قداسة النبوة وخاصة فى نفوس النظارة المتدينين ؟ .

إن حقاً محتوماً علينا أن نجل الأنبياء ، وأن نجل آل الأنبياء وأصحاب الأنبياء عن التمثيل والتشخيص ، احتراما وإجلالا للأنبياء أنفسهم ؛ لأن حرمتهم مستمدة من حرمة الأنبياء ، كما أن حرمة الأنبياء مستمدة من حرمة الله عز وجل ، وهذا بعض حقهم على الإنسانية ، جزاء ما صنعوا لها من جميل وأدوا إليها من إحسان .

خلاصة البحث

وجملة القول أن أنبياء الله تعالى ورسله معصومون بعصمة الله لهم من النقائص الخلقية والخُلقية ، وأن تمثيلهم تنقيص لهم أو ذريعة إلى التنقيص لا محالة ، وكلاهما مفسدة أو مؤد إلى المفسدة التى من شعبها إثارة العصبيات والفتن التى لا يعلم مداها إلا الله تعالى .

مكتبتنا العربية

للفن ميدان فسيح

وإن فى الأدب والتاريخ وتصوير الفضائل ومكارم الأخلاق ، لميداناً فسيحاً للفن والتمثيل ، فليتجه إليها الفن ماشاء له الاتجاه ، وليبتكر ماشاء له الابتكار ، وليدع أنبياء الله ورسله محفوفين - كما حفهم الله تعالى - بالجلال والوقار ، وليعمل على أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقا للشر ، فطوبى لمن كان كذلك ، والويل ثم الويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه وغيرته لأنبيائه !!

فى قصص الأنبياء كفاية

لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، وإن العبرة لا تزال ماثلة فى مواطنها واضحة فى معالمها ، ينتفع بها فى القرآن الكريم ، وصادق الأخبار ، ولو شئنا لأطلنا ، ولكن فى هذا بلاغاً .

النتيجة

من أجل ما قدمنا نقرر فى ثبات واطمئنان أنه لا ينبغى ولا يحل بحال أن يشخص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى المسرح ولا على شاشة السينما . . . والله نسأل أن يجمع قلوبنا على محبته وتوقير أنبيائه ورسله ، وأن يهدينا الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

١٠ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ الموافق ٣ من فبراير سنة ١٩٥٥

عبد اللطيف السبكى

مدير التفتيش

وعضو جماعة كبار العلماء

طه محمد الساكت　　حافظ محمد الليثى　　عبد الكريم جاويش

من مفتشى العلوم الدينية والعربية

مكتبتنا العربية

تعليقات

— ١ —

المسرح الاسلامى

وأخيراً أتيح لنخبة من ذوى النفوس الأبية أن يجهروا بالدعوة إلى إنشاء مسرح إسلامى فى مصر ، يتخذون منه وسيلة جدية لإحياء القومية المصرية التى تلاطمت حولها الموجات التقليدية ، ورانت عليها ألوان زائفة من مساخر الغربيين ، وصنائع السياسة الاستعمارية .

ولا شك أن هذا الشعور كان حبيسا فى نفوس الجمهرة من المثقفين ، وأنهم ظلوا - بين التيارات المتناقضة - مغلوبين على أمرهم فى مقاومة المؤثرات الجارحة للكرامة المصرية ، حتى تغلغل الفساد ، وأفرخت الرذيلة ، وكان من تأوهات المصلحين أن دعوة الإصلاح بطيئة الإنتاج ، بينما نجد الغواية تشق طريقها إلى كل فرد ، ونرى الناس يتهافتون على التحلل من كل ما قد يعوقهم عن الغايات الدنيئة ، ولا يمكنك أن تحصر هذا الفساد فى ناحية دون ناحية ، فهو وباء اجتماعى يشعر به الصالح والطالح ، ويراه الأشرار ولا يحاولون التنصل منه ، ويراه الخيرون وقليل ما هم .

ولكنهم كانوا مهما أبلوا فى علاجه ، ونشطوا فى التحذير منه ، مغلوبين على أى حال إزاء المغريات المتنوعة التى تتكاثر ولا تنقص ، والتى لم يكن يقف فى وجهها سلطان الحكم ، ولا تكفها غيرة من القادرين على صدها . وذلك أمر لا يحتاج إلى إسهاب .

وبعد أن تحرق الناس دهراً طويلا فى التألم لما وصلنا إليه شيبا وشبانا ، ورسميين وغير رسميين ، أذن الله بفجر الثورة أن ينبثق ضوؤه ، وللشعور المكبوت أن ينجلى فيما نراه الآن من تعاقب الإصلاحات ، ومن التكاتف فى دعم الأخلاق ، والانتقال بالأمة من حضيضها إلى مستواها الجدير بها كأمة شرقية ومصرية ، وكأمة مسلمة لها دين تعتز به ، وتاريخ تفاخر به ، وقومية يجب أن تصونها .

مكتبتنا العربية

نقول هذا ، ونحن مستبشرون بفكرة المسرح الإسلامى ، الذى سيطرح التقليد فى تمثيل الروايات الهازلة ، ويدع الاشتغال بما يضر أكثر مما ينفع ، وسيعتاض عن أفلام كانت كالسم فى العسل ، بأفلام إسلامية يستمدها من تاريخنا الصحيح ، ويستق مفاخرها من أمجاد الإسلام وشريعة الإسلام .

ومن البداهة أن هذا الاتجاه ، من أجدى الوسائل فى إصلاح الخلق ، وبناء الشخصية ، وتحصين الشباب الجديد مما انتاب الشباب فى السنين الأخيرة .

وليس من الفهم أن يرانا الناس مبالغين فى هذا التفاؤل ، فإن القرائن عليه قوية الصدق ، وليس من الفهم كذلك أن يكون الأمل فى نتائجه هينا ، فإن تشريع الله وأدب الإسلام وتوجيهات القرآن إلى أساليب الإصلاح الاجتماعى ، وإقامة نظم الدنيا على أسس مأمونة من الذبذبة ، خير ما يأخذ به الناس فى إعداد أنفسهم لحياة خالدة ، ومدنية سابغة .

وما ظنك بنظام وضعه للدنيا خالق الدنيا ، ووجه الناس إليه رب الناس ؟ .

بل إن الأمل ليخالجنا منذ اليوم فى اتجاه الفكرة الأدبية الجماعية فى كل ناحية من نواحى الثقافة إلى مثل ما اتجهت إليه فى إنشاء المسرح الإسلامى بمعناه الصحيح ، فلا يغلو فى مناهجه إلى تناول المحظورات التى لا يسمح الدين بإبرازها على المسرح ، والتى يكون فى إبرازها تهوين واستهانة بحدود وضعها الإسلام بين الحرام والحلال ، والتى يكون فى تمثيلها مساس بقداسة أحكام دينية ، أو شخصية من الشخصيات الكريمة على الله .

وأعتقد أن أولئك الغيورين الذين نشطوا إلى هذا العمل الكريم سيكونون أشد غيرة وأكثر رعاية لما يليق وما لا يليق ، حتى لا نظل فى شكاية من الأفلام قديمها وحديثها ؟

— ٢ —

الجرأة فى تفسير القرآن

تلقت مجلة الأزهر كتابا من أحد قراء جريدة الجمهورية (عدد ٤ / ١ / ١٩٥٥) ذكر فيه أن بعض الشخصيات المثقفة ثقافة مدنية كتب فى العدد المذكور عن قصة آدم

مكتبتنا العربية

فى القرآن تحت عنوان : (خواطر عابر سبيل) وأن ذلك المثقف شطح فى خواطره العابرة شطحة ليست موفقة ، إذ تكلف فى تفسير الشجرة التى أمر الله آدم وحواء ألا يأكلا منها ، واعتبرها رمزاً للعلاقة الجنسية ، وأن وسوسة الشيطان امتحنتهما عند ما بلغا سن المراهقة ، وخرجا من سن الطفولة الساذجة ، ومعنى ذلك فيما فهمه عابر السبيل أن آدم وقع بحواء فى الجنة ولم تكن حلالا له ، فكانت جريمتهما سبباً فى عقوبتهما ، وهذا التصور وحده شاهد على صاحبه بأنه عبر سبيله على غير هدى ، فجاءت خواطره نابية كل النبو عن صواب الفهم ، وجاءت دليلا ماديا على أن أناسا منا يقحمون أنفسهم فى تفسير القرآن ، كما يتناولون رواية غرامية ، أو قصة خيالية ، فيقولون فيها ما يطيب لهم دون تحرج ولا مبالاة ولا خشية من الله ، مع أن أحداً منا لو فسر مادة من مواد القانون الوضعى — وهو ليس من أهله — لرموه بالحمق والتطاول ، ولو كان فهمه صحيحاً . فما بالهم يستبيحون القرآن ، ويدخلون عليه بعقليات لم تأهب فى ثقافتها لفهمه على أى وجه من وجوه الفهم الصحيح ؟ ؟

وما الذى حبب إلى عابر السبيل أن يتكلف فى تأويل الشجرة بالعلاقة الجنسية ، وأى اتصال بين الشجرة والأكل منها وبين المعنى الجنسى ، سواء أكان ذلك من طريق الحقيقة أم المجاز ؟ ؟ ؟

ولم تدافعت الخواطر فى مخيلة عابر السبيل حول مسئلة آدم وحواء من طريق الخيال الروائى ، واستباح لنفسه أن يخرج بآيات الله عن كل فهم تحدث به أهل الذكر قديما وحديثا ؟ ؟ ولم يعرف إلا عن بعض المستشرقين ! !

إن كان ذلك الكلام جداً فهو عين الخطأ الفاحش ، وإن كان هزلا وفكاهة فليس فى مثل هذا الشأن يكون الهزل والفكاهة .

وإذا كانت جريدة الجمهورية ترضى أن تفسح صدرها لكل نغمة مسمومة ، ولكل نزعة متطرفة ، فلا ينبغى أن يتهافت الكتاب فى هذه الورطات .

وعلى حضرة عابر السبيل أن يصحح فكرته ، لئلا تتلم عقيدته وهو لا يدرى .

وليفهم الناس جميعاً أن تفسير القرآن لم يكن مستباحا عند كبار الصحابة ، وهم أعرف

مكتبتنا العربية

بلغته وأدرى بأساليبها ، وإنما كانوا يرجع بعضهم إلى بعض ممن عرف بالإلمام ، وقوة الإدراك ، وسلامة الذوق . ومع هذه المميزات فقد كانوا يتحفظون فيما يقولون ، وهـذا أبو بكر رضى الله عنه يقول : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا قلت فى كتاب الله برأيى ؟ أفبعد هذا من قدوة لنا فى توقير القرآن عن تفسيره بالخواطر لعابر السبيل أو غيره ؟ ولسنا بذلك نقول : إن فهم القرآن كله يستعصى على جميع العقول !! لالا ، وإنما هو ميسور فى مواضع لمن يدركون المعانى الأولية ، وليس ميسوراً فى مواضع إلا لمن مارس الثقافة الدينية ، وليس منهم عابر السبيل ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم .

— ٣ —

الاباحيون من كتاب اليوم

عهدنا فى أهل الحياء أنهم لا يتعرضون لما ليسوا من أهله ، وما رأينا ذا كرامة يقحم نفسه فى حديث يخشى أن يخطىء فيه ، ولكن الإباحيين من كتاب اليوم ، كلما ضاقت بهم سبيل الكتابة ، وفرغت جعبتهم من محصول يكتبون فيه ، تناولوا الكلام عن الدين ، وفرضوا علينا أنهم يفهمون فيه ، ودعونا إلى تصديق مايهرفون به ، وإذا واجهتهم بنقد ، أو وجهتهم إلى صواب ، تطاولوا واستأثروا بالدعوة ، وزعموا أنهم أسبق من سواهم إلى إدراك ماوردت به الكتب السماوية ، ولهجت به الرسالات . ثم هم بعد ذلك لا يأخذون من الدين بطرف . ولا يعملون شيئاً إلا أن يكون مجوناً أو زندقة أو إفساداً للعقائد ، أو تهوينا من قداسة الشريعة . فهم داعون إلى ذلك فى جد ومثابرة ، وهم زاعمون فى تبجح أن هذا هو مفهوم الدين . ولو أن سلطان الحكم يلدغهم مرة ، ويصدهم عن هذه النزعات واللهجات ، لصرفوا أنفسهم إلى ناحية أخرى ، يكتبون فيها ليتكسبوا ما يرضيهم من التكسب ، ولكن التسامح الذى تعودوه قديما من أولى الأمر أغراهم بالدأب على هذا الباطل الماحق للحياء وللخلق ، والناقض لأهداف الثورة فيما ترمى إليه من إصلاح ما أفسدت الأيام الخالية .

نقول هذا وبين يدينا كلمات لكتاب لا يرعوون بأنفسهم عن مساقط الغواية ، ولن يرعوا عن الدعوة إليها إلا أن تشعرهم سياسة العهد الحاضر بأنهم يهدمون ماتبنى هى ، وأنها

مكتبتنا العربية

لا ترضى عن سياسة الهدم ، وإن قام بها أناس متقربون أو متظاهرون بالتقرب ، ليعيشوا فى ظلها ، وهم عابثون بمقاصدها ، فهذا كاتب ينشر فى مجلة الرسالة الجديدة (أوائل يناير سنة ١٩٥٥) « ... إن الدين ليس مراسيم ولا طقوسا ، ولا تعاليم ، وإنما هو نسمة تطوف بالقلب فتملأه نورا ... ثم يقول : افعل كل منكر مادام لايضرك ولايضر غيرك ، فاسرق إذا كانت السرقه تسعدك ولا تضر غيرك ، واشرب الخمر إذا كنت لا تتأذى بها ولا تؤذى غيرك ، افعل كل شىء تستسيغه نفسك ولا يضر غيرك ... الخ .

هكذا يقول كاتب منهم يفهم أن هناك منكرا لايضر صاحبه أولا يضر غيره ، ويدعو إلى استباحة السرقه الخ .

فهل بعد هذا الإفساد من إفساد ، وهل هذه نغمة نسمعها فى عهد القضاء على الفساد ؟؟

— ٤ —

عنوان عريض !!

(هيئة كبار العلماء تشترك فى إخراج مسرحية)

هـذا عنوان عريض فى مجلة أسبوعية تقوم عليها امرأة ويساعدها رجال ، وتحت هـذا العنوان الوقح من عدد المجلة الصادر فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٥ كتب كاتب الموضوع أو كاتبته بالنص (... وبدأ فريق التمثيل الأزهرى فى الاستعداد لتقديم إحدى الروايات الفـكاهية ، وسوف يشترك فى إخراجها بعض مشايخ الأزهر من هيئة كبار العلماء ... الخ)

وهذا خبر لا يعدو أن يكون سخفا بلغ من السماجة مبلغ كاتبه أو كاتبته ، ومبلغ الذين يعجبهم أن ينشر هذا التهريج ، ويقحم فيه الأزهر بطلابه وكبار علمائه ، ومن المفروغ منه أن كلاما كهذا لا يدخل على النـاس ، ولا يقع موقع الصدق عند أحد من ذوى العقول . وليس يؤلمنا من جديد أن تسف تلك المجلة أو شبهها هـذا الإسفاف ، وإنما الذى نلفت النظر إليه أن الناس يتخذون من جرأة المجلة أمارة على هوان الأزهر عند مجلة تتجر بالأخبار

مكتبتنا العربية

المخزية ، ويتخذون من سكوت أولى الأمر عن صد هذه المجلة وما إليها أمارة أخرى على إباحة الغمز فى الأزهر ، ولو أن الأمر كان ذا بال عندنا لدفعنا بالمجلة وصاحبتها وأصحابها إلى القضاء ، ولكن المجلة والعاملين بها دون ذلك الاهتمام . وكأنهم يستفزون أحداً من الأزهريين إلى مقاضاتهم ليجدوا لأنفسهم موقفاً على حساب الأزهر .

فلتذهب المجلة ودعاتها مذهب الفحش فيما تقول ، ولعل ولاة الأمر بما لهم من رقابة على النشر يرجعون إلى رقيبهم لينبهوه إلى أن هذا يعتبر عورة من عورات الرقابة .

ولعل ولاة الأمر يعجبون معنا إذا وجدوا أن هذه التعليقات كلها صدرت فى صحف ومجلات النصف الأول من شهر يناير سنة ١٩٥٥ .

فهل وراء ذلك هجوم صحفى يراد به مقاومة الدين فى معقله ، وفى نفوس المتدينين ، وصد الأمة عن أدبها الدينى ؟

وماذا بعد هدم الدين ، أو زعزعة الشعور الدينى غير الشيوعية ؟!!.

ياتجار الصحف الهزيلة ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

تشجيع الأخلاق والسلوك

أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كأساً تمنح لأحسن الجامعات فى ناحية الخلق والسلوك خلال الأسبوع الرياضى للجامعات .

وهى لفتة إسلامية تفتح مجال التبارى فى حسن السلوك بين الفرق الجامعية فى ميادين الرياضة .

مكتبتنا العربية

الكتب

المسند ـ للامام أحمد بن حنبل

الجزء ١٣ (بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد شاكر) - ٣٥٨ ص - دار المعارف بمصر

كان من حق هذه الطبعة من مسند الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١) أن ننوه بها ونشيد بمكانتها منذ أخذنا قبل أكثر من سنتين نعنى فى هذا الباب بالكتب الإسلامية والعربية ، ولكن فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد شاكر كان قد أصدر أجزاء كثيرة من الكتاب . ثم بدا لنا الآن وقد صدر الجزء الثالث عشر منه أن السكوت عنه تقصير ، لأن مسند الإمام أحمد أقدم دواوين السنة الكبرى بعد الموطأ ، وهو مورد الشريعة لأئمة الإسلام منذ أكثر من ألف سنة ، لاستقصائه مسانيد الصحابة واحداً واحداً ، فهو بمجموعة كتب كثيرة ، كل كتاب منها جمع ما وصل إلى الإمام أحمد بالرواية عن شيوخه من أحاديث أى صحابى أدى إلى هذه الأمة أمانة الإسلام بتبليغ ما حفظ عن الهادى الأعظم ﷺ من أحاديث رسالته العظمى فى العقيدة والتشريع ، وآداب الفرد والأسرة والمجتمع ، وفى سائر أهداف أكمل رسالات الله وأعظمها ، مرقما الأحاديث لتسهيل المراجعة والإحالة وتنظيم الفهارس .

وليس المهم فى هذه الطبعة أنها ملأت الفراغ فى المكتبة الإسلامية بعد أن نفدت نسخ الطبعة الأولى من المسند وأصبحت عزيزة على طلابها ، بل أهم من ذلك هذا المجهود الضخم الفخم الذى بذله الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق سند كل حديث فى المسند وبيان مكان رواته ، والتنبيه على ما قد يكون فيه من ضعف لأنه موقوف على تابعى ، والدلالة على مرويات الحديث فى الكتب الأخرى وتعيين مواضعه فيها ، فضلا عن الإشارة إلى تكرره فى المسند نفسه . وإذا كان فى الحديث غريب أو ما يحتاج إلى تفسير علق عليه بما يغنى القارىء عن مراجعة كتاب آخر.

وهذا الجزء الثالث عشر من المسند تضمن بعض أحاديث حافظ السنة من الصحابة أبى هريرة رضى الله عنه ، وفى آخره ـ كسائر الأجزاء السابقة ـ فهرس لأحاديث الجزء مرتبة على الأبواب : من أبواب الإيمان ، والعلم ، والدعاء ، إلى أبواب الفقه ، فأبواب الأدب والخلق والاجتماع ، والجهاد والغزوات ، والخلافة والإمارة والقضاء ، والسيرة ، والمناقب

مكتبتنا العربية

والفتن والاشراط ، والقيامة وغير ذلك . وقبل هذا الفهرس استدراك وتعقيب ينبه فيه على ما كان ينبغى ذكره فى الاجزاء السابقة وفاته ذلك فاستدركه . وفى الآخر فهرس لما فى التعليقات على الجزء من تحقيق وتعليل . وبالإجمال فإن العلامة الاستاذ الشيخ أحمد شاكر استوفى فى هذه الطبعة من المسند جميع أسباب الكمال المقدور عليها لعالم وقف حياته على خدمة السنة المشرفة ، فكان ذلك مفخرة لهذا العصر الذى نسى فيه المسلمون أسباب مفاخرهم ، ومقومات كيانهم ، ولو أنهم استيقظوا لهما لكانوا ملح الارض وزينة الدنيا .

حقائق عن قضية فلسطين

لسماحة السيد محمد أمين الحسينى — ٢٠٦ ص — المطبعة السلفية

قضية فلسطين هى وصمة الحضارة فى القرن العشرين ، ومعرة السياسة العالمية التى ينبغى لقادة الامم فى أوربا وأمريكا أن يواروا وجوههم خجلا من وقوعها على أيديهم ، ثم هى فضيحة الفضائح للدور الفاجر الذى تمثله اليهودية الدولية من وراء ستار فى توجيه الدول العظمى توجيها غير إنسانى لتحقيق غايات ما كان ليرضى بتحقيقها أى رجل مهذب مسئول لو أنه رجع إلى عقله وإلى ضميره وإلى موازين الحق التى علمها لاجل أن يعمل بها .

هذه القضية الخطيرة - التى هى أبرز قضايا التاريخ فى هذا العصر - صدرت عنها كتب كثيرة بلغات لا تحصى ، ولعل أجدر الناس ببيانها والتحدث عنها السيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، فإنه شاهد عيان لادوار هذه القضية منذ كانت محجبة فى ضمير الغيب قبيل الحرب العالمية الأولى إلى أن صدر وعد بلفور لليهود وفرض اليهود على ساسة الدنيا أن يوقعوا على صك الانتداب البريطانى على فلسطين وما تلا ذلك من أدوار متتالية حتى قيام دولة اللصوص فى تل أبيب وشطر من بيت المقدس وما بينهما . هذا الرجل هو العربى الوحيد الذى يستطيع أن يقول أصدق مما يقول غيره عن هذه القضية ، وتحت يده من مراجعها ومستنداتها ما لم يجتمع لعربى غيره ، وهو نفسه مكتبة متحركة حافلة بكل ما يتعلق بفلسطين من وجهة النظر العربية والإسلامية .

وكتاب (حقائق عن قضية فلسطين) هذا أجوبة من السيد محمد أمين الحسينى على أحد عشر سؤالا وجهت إليه حول هذه القضية : الأول هل فرط الفلسطينيون فى الدفاع عن وطنهم ؟ الثانى عن كارثة فلسطين وهل هى وليدة خلافات عائلية ، أم نتيجة مؤامرة

مكتبتنا العربية

يهودية استعمارية ؟ والثالث هل تفاقمت قضية فلسطين بسبب موقف سلبي للفلسطينيين ، أم تفاقمت بسبب إيجابية سمحة اعتنقها بعضهم فزادت اليهود عتواً وصلفا ؟ والرابع عن سبب خروج اللاجئين من أراضيهم وكيف تحولت فلسطين العربية إلى دولة يهودية ؟ والخامس هل الخلاف مع الملك عبد الله كان خلافا شخصياً أم خلافا على المبادىء والوسائل ؟ والسادس على من تقع مسئولية ابتعاد الزعامة الفلسطينية عن فلسطين ووجود الهيئة العربية فى الخارج . والسابع عن حقيقة موقف أمريكا من قضية فلسطين وتأثير اليهود عليها . والثامن عن هدف الصهيونية وحقيقتها وأحلامها . والتاسع عن موقف انجلترا من فلسطين وإغرائها يهود العالم بالهجرة إليها ونقضها ما عقدته للعرب من عهود متكررة ، وما ارتكبته من وسائل التعذيب الوحشية فى عرب فلسطين مدة انتدابها . العاشر فى سياسة بريطانيا الاستعمارية وانتصارها لليهود على العرب وإلحاحها فى عقد الصلح بين العرب واليهود . والسؤال الأخير عن تعصب اليهود الدينى واستخفاف العرب به والأسباب الرئيسية لكارثة فلسطين وكيف يمكن استردادها .

هذه المواضيع هى التى دار عليها الكتاب ، وكانت الإجابة على هذه الأسئلة من أعلم الناس بها ، وأغناهم بأدلتها وأسانيدها . والكتاب مزين بالصور الكثيرة ، وفيه ثلاث خرائط أولاها لفلسطين بحدودها الأصلية ، والثانية للمناطق التى سلبتها السلطات الأردنية لليهود بعد معاهدة رودس ، والثالثة تبين مطامع اليهود فى البلاد العربية .

وما تقدم من تلخيص مواضيع الكتاب كاف فى وصف أهميته ، ووجوب الإحاطة بها على كل عربى وكل مسلم يعتبر أن اختلاس الوطن الفلسطينى إنما كان بغياً على الإنسانية ، وعلى حق من أقدس حقوق الوطن الإسلامى الأكبر .

نسمات الأصيل فى المذياع

للأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان — ٣٢ ص — دار رسائل الجيب الإسلامية

هذا عنوان أحاديث إسلامية لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان مبعوث الأزهر لرياسة المعهد الإسلامى بزنجبار أذاعها من محطة صوت زنجبار اللاسلكية ، وتدور على موضوع أثر الدين الإسلامى فى حياة الفرد والمجتمع ، والذكريات الإسلامية فى شهر ربيع الأول ، وذكرى المولد النبوى ، وشمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد ألحق بها ترجمتها باللغة السواحلية من قلم الشيخين الفاضلين عبد الله صالح الفارسى وأحمد زهران الريامى .

مكتبتنا العربية

ونحن نتمنى لهذه المناسبة لو أن مبعوثى الأزهر فى مختلف الأقطار الإفريقية والآسيوية وغيرها عرفوا عظمة الرسالة التى هم مضطلعون بها ، وحرصوا على الدعوة إليها فى مناطق عملهم بالقول والعمل والتوجيه ، ولا سيما من محطات الإذاعة التى يعم بها النفع ويعظم الأثر ، ولعلهم فاعلون .

نحو حياة مثلى

للأستاذ أحمد مظهر العظمة — ٦٥ ص — مطبعة دمشق

وهذه أحاديث أذيعت من محطة الإذاعة السورية بدمشق ، وتدور على حاجة العالم إلى حياة مثلى ، وعلى نظام الإسلام الداخلى ، ونظام الإسلام الخارجى . وعلى موضوع الإسلام ومقاصد الحضارة ، ومستقبل الإسلام .

وقد تولت جمعية التمدن الإسلامى فى دمشق جمع هذه المحاضرات فى كتيب لطيف ونشرته على الناس ليطلع عليه من فاته الاستماع إلى هذه المحاضرات عند إذاعتها .

ومع أنها مطبوعة على ورق صقيل ، فقد فات الناشرين العناية بالتصحيح المطبعى لتفادى الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى الكتاب على صغره وكان ذلك فى إمكانهم لو شاءوا .

الشئون الأندونيسية

وصلت إلينا مع البريد فى هذا الشهر أجزاء السنتين الثالثة والرابعة من مجلة عربية بهذا العنوان تصدرها وزارة الاستعلامات فى جاكرتا (جاوا) بأندونيسيا مرة فى كل شهرين . وقد اختارت لتحريرها السيد حامد هاشم الكاف من أفاضل الكتاب الحضارمة المتوطنين فى أندونيسيا ، والفاضل الأندونيسى المعروف ببحوثه وكتاباته العربية من سنين طويلة السيد عبد الله بن نوح ، والسيد محمد ضياء شهاب . والمجلة حافلة بالبحوث والصور التى تعطى للعالم العربى والإسلامى فكرة صادقة عن نهضة اندونيسيا وعلاقتها بالأقطار والأمم الإسلامية الشقيقة ، تشيد بجمال هذه الجزر العزيزة على المسلمين ومشاهدها الطبيعية ومرافقها العمرانية والصناعية

لقد كنا من زمن طويل نتمنى لو أن لاندونيسيا مجلة عربية كهذه المجلة توثق روابط الأندونيسيين بالعالم الإسلامى ، وتقوم بوظيفة التعارف الذى هو سبيل التعاون ، فلما وصلت إلينا مجلة (الشئون الاندونيسية) علمنا أن الجمهورية الاندونيسية كانت منتبهة لهذه الناحية المهمة ، فشكراً لهم .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

مرحلة التأهيل

للالتحاق بالمعاهد الأزهرية

قامت مشيخة الأزهر بوضع إحصاء لجمعيات المحافظة على القرآن بعد أن التحقت بها. ويؤخذ من هذا الإحصاء أن عدد الجمعيات ١٥٥ جمعية، وأن عدد التلاميذ فى المدارس التابعة لها بلغ ٢٣ ألفا و٩٤ تلميذاً. وهنالك مكاتب أهلية لتعليم القرآن تحتوى ١٦٣ ألف تلميذ.

إن هذه المدارس هى المصدر الأول لطلاب الأزهر، بل هى مرحلة التأهيل للالتحاق بمعاهده فى القاهرة والإسكندرية وعواصم المديريات والمحافظات. وبوضع المنهاج الدراسى لهذه الألوف المؤلفة من أبناء المسلمين يكون الأزهر قد نظم المرحلة الأولى التى تؤهل حاملى شهادتها لدخول القسم الابتدائى فى الأزهر ومعاهده بلا امتحان.

وقد وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على اعتماد أربعة عشر ألف جنيه من ميزانية الأزهر لتنظيم هذه المدارس، وهذا بالإضافة إلى الميزانية الخاصة بجمعيات حفظ القرآن.

وكلفت المشيخة فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق الغمراوى بأن يمثل الأزهر فى لجنة وضع المنهاج الدراسى لمدارس حفظ القرآن الأزهرية فى عهدها الجديد، وسيكون من عمل لجنة المناهج هذه وضع منهاج لإعداد المدرسين لمعهد القراءات التابع للأزهر. فنرجو الله أن يكون ذلك توطئة لعهد جديد يستقبله الأزهر بعد أن أتيح له الإشراف على تكوين أبنائه وهم فى سلامة الفطرة وطهارتها.

وعاظ اجتماعيون

للوحدات المجمعة

وضع المجلس الدائم للخدمات العامة فى وزارة الشئون الاجتماعية مشروعا لإعداد وعاظ اجتماعيين من علماء الأزهر يقومون برسالتهم فى الوحدات المجمعة ويختارون من بين خريجى كليات الجامعة الأزهرية، بشرط أن يدرسوا مناهج وافية فى الخدمة الاجتماعية تشمل دراسات إسلامية وتاريخية تتضمن اندماج الأمم الإسلامية على اختلاف عناصرها وحضاراتها فى المجتمع الإسلامى، كتاريخ الإسلام الاجتماعى، ونقل المسلمين لمختلف الثقافات والحضارات ومزج الحياة

مكتبتنا العربية

الاجتماعية فى عهد الرسول ﷺ بالحياة الاجتماعية بين عهد أبى بكر وعهد عمر بن عبد العزيز . كما يشمل دراسة علاقة الفرد بالمجتمع ، وتكوين المجتمع ووظيفته ، وتأثير البيئة ، ووسائل النهوض بالمجتمع ، والمؤسسات الاجتماعية ، ووسائل وأساليب العمل فيه . ويقرر المشروع أن الارتكاز فى نهوض البلاد إنما يكون أولا على إنعاش القرية ، وما المساجد والمؤسسات الاجتماعية والمعاهد التعليمية من أدوار هامة فى خدماتها ، ورفع مستواها الآدمى ، وأن ضريبة الدم والمال والجهد حق للأمة على أبنائها .

وقد وضعت وزارة الشئون الاجتماعية برنامجاً لهذه الدراسات تستغرق مدته أربع سنوات : فيدرس الطالب فى السنة الأولى منها مادتى الدراسات الإسلامية والتاريخية والخدمات الاجتماعية الإسلامية ، وفى السنة الثانية مادتى المشكلات والتشريعات الاجتماعية والدراسات التربوية والفنية ، وفى السنة الثالثة موضوع مصر ومشكلات الشرق الأوسط والعالم والسياسة ، ويتعمق فى السنة الرابعة فى الدراسات الاجتماعية والخدمات الاجتماعية وما تضطلع به الوزارة من برامج الإصلاح .

وكان يوم السبت الماضى (٢٦ جمادى الآخرة) موعداً لافتتاح هذه الدراسات خطب فيه الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والبكباشى ا . ح حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية ولنا عودة إلى هذا الموضوع

اعادة كتابة التاريخ الاسلامى

من الاقتراحات التى سجلتها اللجنة الاجتماعية الإسلامية فى مؤتمر الشباب الإسلامى بكراتشى مشروع قرار يطالب وزارات التربية والتعليم فى العالم الإسلامى بأن تدخل الدراسات الإسلامية فى مناهج الجامعات بالأقطار الإسلامية ، وتكوين هيئة من كبار العلماء المحققين فى مواد التاريخ الإسلامى تكون مهمتها إعادة دراسة التاريخ الإسلامى من جديد واستئناف كتابته بأساليب تبرز عظمة الإسلام وما قدمه للإنسانية من خدمات صادقة ، ليكون ذلك أساساً فى دراسة الثقافة الإسلامية وشرحها شرحاً جديداً يعم تدريسه فى جميع مراحل التربية والتعليم فى الأوطان الإسلامية

واقترح الوفد اللبنانى فى اللجنة الثقافية التعليمية المشروع فورا بإنشاء محطة إذاعة إسلامية تعمل على نشر المثل الإسلامية العليا ، وإلى أن يتم ذلك يبدأ من الآن بوضع برامج ملائمة لهذا الغرض فى كل محطة للإذاعة فى كل وطن من أوطان العالم الإسلامى .

تشييد مبانه للتعليم

اعتمدت الحكومة مبلغ مليون وخمسمائة ألف جنيه لتشييد مبان جديدة للتعليم ، منها

مكتبتنا العربية

١٩٧ ألف جنيه لإنشاء كلية للبنات فى مصر الجديدة تتبع جامعة عين شمس و ١٦٠ ألف جنيه لمبنى كلية المعلمين فى منشية البكرى ، و ١٠٠ ألف جنيه لمبنى كلية الفنون التطبيقية بمنطقة الأورمان ، و ١٩٥ ألف جنيه لإنشاء مدارس للمعلمين والمعلمات الخاصة ، و ٣٤٠ ألف جنيه لإنشاء مدارس للمعلمين والمعلمات العامة ، و ٧١ ألف جنيه لمدرستين للصناعات إحداهما بالحلمية والأخرى بالمطرية ، و ١٦٠ ألف جنيه لإنشاء مدرسة ثانوية تجريبية بالإسكندرية ، و ١٢٥ ألف جنيه لإنشاء مدرستين إعداديتين تجريبيتين إحداهما فى جزيرة الروضة والأخرى بمصر الجديدة ، و ٦٥ ألف جنيه لمدرسة ثانوية للبنين بحلوان و ٧٦ ألف جنيه لمدرستين إعداديتين إحداهما بحلوان والأخرى بالدقى .

وستنشأ مدرسة تجريبية للبنات بالعجوزة ، وستتسلم وزارة التربية والتعليم فى أول العام الدراسى المقبل ٢٥٠ مبنى جديدا للمدارس الابتدائية .

وكل بلد يتبرع أهله بقطعة أرض تكفى لبناء مدرسة وبمبلغ لا يقل عن ألف جنيه يكون له حق التقدم على غيره فى إنشاء المدارس فيه بدلا من الانتظار حتى يأتى دوره فى البرنامج الموضوع للبلاد المحتاجة إلى مدارس .

مكتبة دير طور سينا

فى دير طور سينا مكتبة تحتوى عدة ألوف من المخطوطات والوثائق التاريخية ، ولا سيما المواضيع التى تهم رجال الدير من دينية وفلسفية وسياسية وعلمية ، وبينها مخطوطة للإنجيل بلغة عربية فصحى ترجع إلى عصر صدر الإسلام ومجموعة من الفرامانات العثمانية والمصرية والتعليمات الإكليركية ، وكثير من ذلك يتصل بتاريخ مصر ومنطقة الشرق العربى .

وكانت مكتبة الكونجرس الأمريكى اتفقت مع جامعة الإسكندرية على إيفاد بعثة مشتركة إلى هذه المكتبة لتصوير مخطوطاتها على الفيلم الدقيق (ميكرو فيلم) استعداداً لدراستها من جهة ، وحفظا لصور منها احتياطا للطوارئ التى يمكن أن تطرأ على كل مؤسسة إذا أصابتها الأقدار . ولذلك أعدت البعثة المختلطة ثلاث نسخ ميكرو فيلم من جميع مخطوطات دير طور سينا ثم بوبت ورتبت على أحدث أنظمة المكتبات وعملت لها الفهارس التى تيسر الإفادة منها . ثم حفظت إحدى النسخ الثلاث فى مكتبة دير طور سينا ، والثانية بمكتبة جامعة الإسكندرية ، والثالثة بمكتبة الكونجرس الأمريكى . أما نسخة جامعة الإسكندرية فكانت فى ستة صناديق فتحت يوم ١٣ جمادى الآخرة (٦ فبراير) بحضور لجنة من إخصائيين

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

العراق

ينحاز إلى محالفة تركيا

صدر فى ليلة ١٢ يناير بلاغ مشترك عن المحادثات التركية العراقية التى دارت بين عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية ونورى السعيد رئيس الوزارة العراقية .

وقد جاء فى هذا البلاغ أن الحكومتين التركية والعراقية قررتا عقد اتفاق عسكرى يرمى إلى تحقيق التعاون وزيادته لكفالة الاستقرار فى الشرق الأوسط والمحافظة على سلامة المنطقة ، وذلك فى أقرب وقت ممكن .

وأشار البلاغ إلى أن هذا الاتفاق المرتقب سيتضمن التعهد بالتعاون بين البلدين بصدد أى عدوان قد يقع على تركيا أو العراق من داخل المنطقة أو من خارجها من أى جهة ، وذلك استناداً إلى حق الدفاع الشرعى الذى نصت عليه المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة

وقد وجهت الحكومات الموقعة على ميثاق جامعة الدول العربية بهذا البلاغ ، واعتبر هذا العمل من العراق متعارضاً مع ميثاق الضمان الجماعى العربى . ودعت مصر رؤساء وزارات الحكومات العربية إلى عقد مؤتمر عاجل فى القاهرة ، وكانت الحكومة السعودية أشد الدول العربية تحمساً لوجهة نظر مصر فى استنكار عمل العراق . وأرسل جلالة الملك سعود رسالة خاصة إلى السيد نورى السعيد حذره فيها من تفكيك صفوف العرب وإخضاعهم للسيطرة الأجنبية . وفى آخر يناير أوفد مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وفداً إلى بغداد لمعالجة الموقف ، فتبين للوفد إصرار العراق على المضى فى طريقه إلى التحالف مع تركيا .

وفى ٣ فبراير قرر مجلس الوزراء العراقى بالإجماع ضرورة عقد الميثاق المقترح مع تركيا فوراً واعتباره محققاً مصلحة كل الشعوب المحبة للسلام . وفى ٦ فبراير انعقد مجلس النواب العراقى وحضره ٩٦ نائباً من مجموع الأعضاء وعددهم ١٣٥ ، وبعد مناقشة استغرقت أكثر من خمس ساعات تناولت موضوع الحلف التركى العراقى اقترع الحاضرون على تأييد سياسة الحكومة بعد أن استمع المجلس إلى بياناتها فيما يتصل بسياستها التى قالت إنها تهدف إلى أمن العراق والدفاع عن حدودها طبقاً لميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ، فأيد النواب الذين حضروا الجلسة بالإجماع سياسة نورى السعيد فى هذه المسألة .

مكتبتنا العربية

وفى ١١ فبراير وجه الملك سعود نداء إلى الشعوب العربية دعاها فيه إلى الكفاح فى سبيل وحدة العرب ، ورفض الدخول فى أى حلف يضر بالأمة العربية . وقال : إن الجامعة العربية هى أملنا المشترك ووسيلتنا لغايتنا القصوى وهى الوحدة العربية الكبرى التى نسعى جميعاً لتحقيقها . لكن جامعة العرب هذه تحتضر اليوم ، وأركانها الراسخة على عزائم العرب الصلبة مؤذنة بالانهيار ، فقد خرج بعضنا عن إجماع الأمة وإرادة شعوبها ، وقد عجزنا عن إقناعه بمغبة سياسته وخطر الخطوة المفزعة التى يقدم عليها . فيا أيها العرب هل ترضون بأن تلتفوا أنتم والصهيونيون فى حلف مشترك وزمالة سلاح بإرغامكم على التوقيع على صلح مع تلك الطغمة الظالمة المعتدية على بلادكم . لقد عجز الأعداء عن حملكم على تحقيق هذا الصلح المشين فسلطوا عليكم بعضاً منكم يرغمونكم على ذلك ولو كره المخلصون . لهذا أكرر ندائى إلى كل عربى أن يقول كلمته ، وأن ينضم إلى الجماعة ، فإن يد الله مع الجماعة .

واحة البريمى

تبلغ مساحة واحة البريمى ٧٠ ألف ميل مربع ، ويرجع النزاع بشأنها بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية إلى ربع قرن مضى ، واشتد هذا النزاع على أثر اكتشاف منابع للبترول .

وفى سنة ١٩٥٣ قتل ضابطان بريطانيان فى معركة نشبت بين القوات البريطانية ورجال القبائل بسبب النزاع على ملكية خط الحدود . والإنجليز لا يستطيعون أن يدعوا ملكية لشبر أرض من ذلك الوطن العربى ، وإنما يدعون مصالح لهم وللمشتركين فى شركات البترول من رعاياهم . وأخيراً تم الاتفاق على عرض النزاع على هيئة تحكيم رسمية من ثلاثة قضاة أحدهم بلجيكى يتولى الرآسة والثانى من كوبا والثالث باكستانى . وندبت المملكة السعودية الأستاذ عبد الرحمن عزام ليكون فى الفريق الذى يدافع عن وجهة نظرها . ولا ينتظر أن تصدر هيئة التحكيم حكمها قبل منتصف العام القادم .

حول السد العالى

يقدرون المدة اللازمة لبناء السد العالى فى جنوب أسوان بعشر سنوات متواصلة ، وأن القوى العاملة التى يتطلبها بناء هذا السد - الأول من نوعه فى العالم - لا تقل عن عشرين ألفا من المهندسين والفنيين والإداريين والعمال ، وقد تقرر أن تبنى لهم مدينة سكنية كاملة المرافق الحديثة .

مؤتمر شباب العالم الاسلامى
(مشعل)

انعقد مؤتمر شباب العالم الإسلامى فى كراتشى يوم الاحد ٨ جمادى الأولى وانتهى

مكتبتنا العربية

فى يوم الجمعة ١٣ منه ، وكان الغرض منه بعث الإيمان فى الشباب الإسلامى الذى أهمل فيما مضى فسلك مسالك ما كان ينبغى له أن يسلكها حتى قال القائمقام أنور السادات : إنى أعتبر انعقاد هذا المؤتمر حدثا فى تاريخ الإسلام ، لأن من الشباب الإسلامى من انخدع بدعوة أنصار السلام ، ومنهم من يسيطر عليه النفوذ الأمريكى ، بينما كان ينبغى أن يتجه الشباب المسلم إلى الرسالة الإسلامية الخاصة به. لقد تكالبت على الدول الإسلامية وعلى الإسلام عوامل كثيرة جداً لتشوهه وتشوه رسالته الخالدة ، وإن الكفيل بإصلاح هذه الأخطاء جميعها هو الشباب

هذا وقد كانت العربية لغة رسمية للمؤتمر ، واتخذ كلمة (مشغل) رمزاً له وهى مؤلفة من حروف مقتطعة من كلمات (مؤتمر شباب العالم الإسلامى) . وقد اشترك فى المؤتمر ١٧٤ شابا يمثلون ٢٩ دولة ، وكان الرئيس من اندونسيا وكاتب المؤتمر من مصر وأمين الصندوق من سيلان والمراقب العام من باكستان ، وسيجتمع المؤتمر مرة كل عامين ، واجتماعه القادم سيكون فى القاهرة . أما المكتب المركزى فيجتمع أربع مرات فى السنة ، وسيكون اجتماعه الآتى فى (جاكرتا) باندونسيا فى شهر رمضان القادم .

البترول العربى

زاد إنتاج البترول فى الشرق الأوسط فى العام المنصرم ١٢ فى المائه عما كان فى سنة ١٩٥٣ ، فبلغ ١٧٣ مليون طن فى مقابل ١٢٢ مليونا فى العام الذى قبله . وكانت الكويت أكبر البلاد العربية إنتاجا فبلغ ما استخرج منها ٤٨ مليون طن ثم المملكة العربية السعودية فبلغ إنتاجها ٤٧ مليونا ، والعراق ٣٠ مليونا

البترول المصرى

أعلنت شركة كاليفورنيا الجنوبية للبترول أنها أتمت إنشاء أول بئر بترولية بجهة (البلاعيم) فى سيناء لحساب شركة مصرية ، وهذه البئر تنتج ٤٨ برميلا فى الساعة من فتحة عرضها ٣ البوصة وعمق البئر ٧٣٥٠ قدما .

ويستعدون لافتتاح بئرين أيضا بالقرب من البئر الأولى ، ولإنشاء خط للأنابيب يمتد من البلاعيم إلى منطقة فيران لتيسير نقل البترول .

مسجد الرفاعى

فى مقال للأستاذ حسن عبد الوهاب عن مسجد الرفاعى أن هذا المسجد بنى على رباط

مكتبتنا العربية

مدفون فيه السيد على أبو شباك أحد ذرية السيد أحمد الرفاعى الكبير ، وأن السيد على أبو شباك مولود فى مصر وتوفى فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، وأن الرباط الذى دفن فيه دخل فى المسجد عندما شرعت خشيار هانم أم الخديو إسماعيل فى بنائه سنة ١٢٨٦ هـ فاشترت المساكن التى حول الرباط وعهدت إلى المهندس حسين باشا المعمار بإعداد مشروع لبناء مسجد كبير تلحق به مدافن لها ولأسرتها ، وقبتان إحداهما ليحيى الأنصارى والثانية لأبى شباك الرفاعى ومن دفن معه وبعده من الرفاعيين . وبعد أن سارت العمارة شوطاً كبيرا أوقفت ، ثم استؤنفت ثانيا سنة ١٣٢٣ بإشراف أحمد خيرى باشا مدير الأوقاف الخصوصية الذى عهد إلى هرتس باشا كبير مهندسى الآثار العربية وقتئذ بإعداد مشروع لتكملة المسجد قام بتنفيذه وأتم عمارته واحتفل بافتتاحه سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) .

الهمجية الفرنسية

نشرت جريدتا (اكسپرس) و(ابزرفاتور) الفرنسيتان مقالين للكاتبين فرانسوا موريارك وكلود بورديه عن الفظائع الهمجية التى يرتكبها البوليس الفرنسى فى المسلمين الجزائريين، ومن ذلك قول موریاك إنه سمع من شاهد عيان أن أحد الوطنيين المسلمين فى الجزائر ظل يضرب أكثر من ساعتين بسوط مملح . ثم عذب بعد ذلك بوضعه فى برميل ملأوه بماء بارد قذر ، مع إبقاء رأس الرجل داخل الماء القذر إلى حد الاختناق ، ثم أجروا عليه تياراً كهربائياً تحت إبطيه وحول ساقيه وأدخلوا فى فمه أنبوبة من الماء القذر إلى أن خر مغشياً عليه .

وكان يتخلل ألوان التعذيب هذه استجوابات كانت تمتد إلى ساعات طوال دون أن يقدم فى خلالها أى غذاء إلى المعذب .

إن المنافقين الذين يسارعون إلى عضوية مؤتمرات حقوق الإنسان فيهم من يقرأ الصحف الفرنسية التى نشرت هذه التفاصيل ويرى مع ذلك أنها لا تمس حقوق الإنسان التى يتبجح بها !

منطقة إسلامية قومية

قال الصاغ مجدى حسنين فى افتتاح مسجد أم صابر بمديرية التحرير :

« إن الغرض من إنشاء مديرية التحرير هو إقامة منطقة إسلامية قومية ، وستطبق فى هذه المنطقة تعاليم الدين : فلا خمر ، ولا ربا ، ولا ميسر . وسيكون لكل من الجنسين ناد خاص مستقل به » .

ترجمة القرآن بالانجليزية

من محطة الإذاعة بطهران

اطلعت مشيخة الأزهر على خبر لخواه

مكتبتنا العربية

أن محطة الإذاعة فى طهران قررت أن تدخل فى برامجها الأجنبية إذاعة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية نقلا عن ترجمة قامت بها السيدة كوك الأمريكية ، فكتبت المشيخة إلى وزارة الخارجية طالبة الاتصال بالسفارة المصرية فى طهران للحصول على نسخة من هذه الترجمة لعرضها على اللجنة التى أمر بتشكيلها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لفحصها ووضع تقرير عنها ، والاتصال بالسفارة الإيرانية بالقاهرة فى هـــذا الشأن أيضا مع طلب التريث فى إذاعة هذه الترجمة .

وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر بأن تبدأ تلك اللجنة عملها من الآن بمتابعة راديو طهران فى إذاعاته وتسجيل ما يذيعه من القرآن بالإنجليزية وإبداء الملاحظات الفنية والعلمية التى تبدو على تلك الإذاعة . وقد أجاب فضيلته مندوب الأهرام على سؤال له فى هذا الموضوع قائلا :

« إن الترجمة مستحيلة لأن القرآن عربى بنص كلام الله (قرآنا عربياً غير ذى عوج) ولأن المتأمل فى أية كلمة منه لا يجد غيرها مناسبا لمكانها مما قبلها ومما بعدها .

والمعانى القرآنية ، أو المقاصد الإلهية ، لم تكتمل إلا فى تلك الألفاظ التى اختارها الله لها » .

قرارات

مؤتمر الشباب الإسلامى فى كراتشى

انتهى مؤتمر الشباب الإسلامى الذى أشرنا فى الجزءين الماضيين إلى انعقاده فى كراتشى ، وكان من أهم قراراته بعد الموافقة على دستور المؤتمر والهيئة المشرفة عليه والمجلس التنفيذى :

١ - ألا يتدخل المؤتمر فى السياسة الداخلية لأى قطر إسلامى .

٢ - التنديد بالاستعمار ، والرأسمالية ، والشيوعية .

٣ - التنديد بمطامع إسرائيل التوسعية .

٤ - توصية الحكومات الإسلامية بتطبيق العقوبات الاقتصادية على إسرائيل ، أسوة بما تقوم به الحكومات العربية فى هذا السبيل . لأن بغى إسرائيل على فلسطين لا يتناول القومية العربية وحدها بل يشمل الملة الإسلامية جمعاء .

٥ - التوصية بتشكيل لجنة للبحث عن الموارد الطبيعية بالدول الإسلامية .

٦ - سن نظام إسلامى دولى للتأمين يحل محل النظام الأجنبى السائد الآن .

٧ - تأسيس شركة إسلامية للملاحة ، وتأسيس بنك إسلامى .

٨ - التمييز بين الثقافة والعلم ، وتوصية شباب الإسلام بالابتعاد عن الثقافات الأجنبية ، وتكوين ثقافتهم من ينابيع إسلامية تماشى سنن الإسلام ومبادئه .

مكتبتنا العربية

الى حضرات القراء

كنا نحب لمجلتنا أن تصدر فى نصف حجمها مرتين فى كل شهر عربى . ومع أن هذا التعديل صادف ارتياحا لدى كثير من حضرات القراء ، فقد رغبت إلينا الكثرة الكاثرة من حضراتهم أن نعود بها إلى نظامها الأول ، وذلك - أولا - لأن إصدارها أول الشهر لا يغيب عن خواطرهم ، فلا تفوتهم المجلة كما يفوتهم موعدها فى نصف الشهر أحيانا - وثانيا - لأن المجلة إذا اتسع أمامها الوقت تظل فى الأسواق مدة أطول ، فيكون إدراكها مستطاعا لهم أكثر مما هو الآن ، وفى هذا تمكين لحضراتهم من المحافظة على أعدادها متوالية .

وقد استجابت إدارة المجلة لهذه الرغبة الكريمة ، على أن تزيد فى حجم المجلة ، حتى تتسع لأكثر ما لديها من المواد ، وعلى أن يكون ثمن العدد الشهرى أربعة قروش بدلا من خمسة فيما سبق . أما الاشتراكات فكما هو مدون بصدرها .

وقد اقتضى هذا التعديل فى نظام المجلة ألا تصدر فى شهر جمادى الآخرة ، وستصدر بمشيئة الله تعالى فى شهر ذى القعدة المقبل بدلا منه .

هذا - والمجلة تشكر لكتابها ولقرائها جميعاً ما أبدوا من إقبال وتأييد ، وهى - بفضل مؤازرتهم - سائرة إلى الكمال فى جد ومثابرة . والله ولى التوفيق ؟

(المجلة)

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضـــوع	بقلم
٦٠٩	أثر الصحافة والسينما فى توجيه المجتمع . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير.
٦١٥	نفحات القرآن : المتكلمون فى المهد . . .	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٦١٩	السنة : مسامرة نبوية	« طه محمد الساكت . . . . .
٦٢٤	نذير من الغرب	« أبو الوفا المراغى . . . . .
٦٢٧	حياتنا بين الشرق والغرب	الدكتور مصطفى الحفناوى . . . .
٦٣٧	صاحب التنفيس	الاستاذ عبد الله المراغى . . . .
٦٤١	منع القراءة بجمع الحرف والوقف فى المحافل	« محمد محمد جابر المفتش بالأزهر .
٦٤٣	عزة النفس	« على العمارى . . . . .
٦٤٦	قتيبة بن مسلم — ٢ —	« محمد رجب البيومى . . . . .
٦٥٠	كنوز الكتب وموقفه	« احسان النمر . . . . .
٦٥٢	إلى أين ؟	« محمد أبو المكارم . . . . .
٦٥٦	الاسراء والمعراج	« محمود محمد المدنى . . . . .
٦٥٩	البهائية	« محب الدين الخطيب . . . . .
٦٦١	عمر بن عبد العزيز	« أحمد الشرباصى . . . . .
٦٧٦	نصرة الله لأوليائه — ٢ —	« محمود فرج العقدة . . . . .
٦٨٠	أسرار الشريعة الاسلامية	« محمد أبو الوفا البنا . . . . .
٦٨٥	غزوة الخندق	« محمد جمال الدين محفوظ . . . .
٦٩٠	تشخيص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى المسرح وعلى شاشة السينما	الاساتذة : عبد اللطيف السبكى، طه الساكت حافظ البيلى ، عبد الكريم جاويش

التعليقـــات

٧٠١	المسرح الاسلامى	الاستاذ عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء . . . . .
٧٠٢	الجرأة فى تفسير القرآن	«
٧٠٤	الاباحيون من كتاب اليوم	«
٧٠٥	هيئة كبار العلماء	«

* * *

٧٠٧	الكتب	« المجلة »
٧١١	الأدب والعلوم	«
٧١٤	أنباء العالم الاسلامى	«
٧١٩	إلى حضرات القراء	«